النَّفْسُ

وَصْفُهَا وَ تَزْكِيَتُهَا

فوزي محمد الوزير

دار الإيمان والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب	النفس وصفها وتزكيتها
المؤلف	الأستاذ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	الأولى
الطبعة الأولى	السادس من جمادى أول ١٤٣٠هـ الموافق للثلاثين من إبريل ٢٠٠٩م
عدد الصفحات	١٦٠ صفحة
المقاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون ، أسود
الغلاف	كوشيه لميع ، ٢٥٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة - ١١٤ش ١٠٥ - المعادى - القاهرة - جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٢٠، فاكس ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلى	٢٠٠٩/٩٤٩٢
الترقيم الدولى	ISBN: 977-17-6986-3



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جميل نعمه و عظيم منته التى غمر بها الإنسان حتى جمَّله بجمال الخلافة عن حضرته فى الأكوان.

والصلاة والسلام على خير إنسان تسربل بخلافة الرحمن، وتجمَّل بأوصاف الله فى الأكوان؛ سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ، وكل من تجمَّل بخلقه وسار على هديه إلى يوم الدين، .. آمين .. آمين .. يارب العالمين.

فالنفس البشرية معرضة دائماً للفتنة والغواية؛ فإذا تُرِكَتْ وانحرافها؛ وحالها دون أن ننصحها ونربِّيها ونعلِّمها؛ دأبت بحكم جبلتها إلى المعصية، وازدادت فى إعوجاجها حتى يصبح ذلك طريقها وغايتها، ومنطقها، وعادتها... فلا تعرف غير حظها وهواها ولذَّتها، فتسقط فى مكائد الشيطان، وهذا ما يقع فيه كثير من الناس، ولذلك قال الله تعالى فى وصفها :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (الشمس)

ولكى تنتصح النفس ويعتدل مزاجها، وتتحسن طبيعتها، وتسير فى توافق ومحبة مع الآخرين، تحتاج إلى طبيب عارف بالنفس البشرية وخواطرها الشيطانية والملائكية، ومرَّ بالتجربة السلوكية وتفهم باطن الإنسان قبل ظاهره.

فإذا ما تيسر للمريد الصادق أن يقدم نفسه إلى طبيبه طالباً للعون والمساعدة، فيصدق معه فى القول والفعل، وينتصح بأمره، ويخلص له ظاهراً وباطناً، فلا يُخْفِى

عليه خواطره الشيطانية، ولا يكذب عليه فى إحساساته الشهوانية ... عندما يكــون هذا حاله من الصدق؛ يرشده الطبيب النفسى وهو شيخه المربِّى فيساعده على تخطى العقبات، وينجيه من العثرات، فيقوى فى نفسه اليقين.

ويعلّمه الإستقامة، فيستنير قلبه بالعلم والمعرفــة، ويــشرق قلبــه بالــصدق والحق،فيكون المريد سيِّداً على نفسه بعد أن كان عبداً لغرائــزه، فيرفــض دواعــى الشهوة مقتدياً بشيخه وطبيبه، مقبلاً على ما ألقاه فى روعه من حبِّ الطاعات وعمل الخيرات وتقوى الحق تبارك وتعالى، فيتحلّى بالصفات المحمودة، ويتخلّى عن الصفات المذمومة، ويتعاون على البرِّ والتقوى؛ فتتكامل شخصيته ديناً ودنيــا، ولا يفكــر إلا فيما هو حقٌّ وصدقٌ، ويبعد عن كل ماهو إثمٌ واعوجاجٌ وانحراف، وتــصبح نفــسه عامرةً بالإيمان، طالبةً للإستقامة، عاملةً فى طريق الإصلاح والبناء؛ كلٌّ ذلك بفــضل حكمة الطبيب المربِّى وإخلاصه وعلمه ودرايته.

ولذلك رأينا الصوفية وقد بلغوا الغاية فى جهاد نفوسهم، يبرعون فى وصــف النفس، وشرح عللها وآفاقها، وبيان طرق تزكيتها وجهادها، وإن كــان الــبعض لم يستطع أن يفرِّق بدقة بين أوصاف النفس ومقاماتها لدقَّة هذا المجال؛ إلا أن الــصوفية عموما خير من تحدث عن النفس، وخاصة أن حديثهم عن تجربة ومعاناة، وليــست دراسية فكرية وفلسفية فقط !!

والحمد لله قد وفقنا الموفق ﷻ، فانتهجنا فى هذا الكتاب منهجاً جديداً وفريداً فى الحديث عن النفس؛ حيث بيَّــنَّا أنواع النفوس من حيث أغراضــها ووظائفهــا ومنازعها فى المملكة الإنسانية وذلك من سياق القرآن والهدى النبوى.

وكذلك تحدثنا عن علل النفس وأمراضها، ووصفنا الدواء الناجع لكــلّ داء من شفاء القرآن، وصيدلية السنة النبوية، وهدى السلف الصالح.

ووضحنا بعد ذلك المقامات التى تترقى فيهـا الـنفس فى جهادهـا لهواهـا وأغراضها، ووصف كلِّ مقام والحال الذى يأنس بـه صـاحبه فيـه، والـواردات والإلهامات التى تفاض عليه فى هذا المقام، والإشراقات التى يحظى بها من الله ﷻ.

واسترشدنا بأحوال الصحابة المباركين.والسلف الصالح فى مجاهداتهم الفادحة لأنفسهم .. رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وحسبنا أن هذا الكتاب يعد أول كتاب مكتمل فى هذا المجال، وقد سمَّيناه :

" النفس، وصفها وتزكيتها "

والله من وراء القصد، وبه التوفيق، وله المنة علينا من قبل ومن بعـد، وهـو وحده الهادى لأقوم طريق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الجميزة، مساء الخميس ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٣٠هـ

الموافق للثالث والعشرين من أبريل ٢٠٠٩م

فوزى محمد أبوزيد
: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩، : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
: WWW.fawzyabuzeid.com
: fawzy@fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾

سورة الشمس

الفصل الأول

وصف النفس

ما النفس؟

أنواع النفوس ووصفها

أولاً: النفس الجماديَّة

ثانياً: النفس النباتيَّة

ثالثاً: النفس الحيوانيَّة

رابعاً: النفس الإبليسيَّة

خامساً: النفس السبعيَّة

سادساً: النفس الملكوتيَّة

إشارة لطيفة: الخاطر الأول

سابعاً: النفس القدسيَّة

﴿ قَدِمَ النَّبِيُّ من غَزاةٍ له، فقال لأصحابه رضي الله عنهم: قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وما الجَهَاد الأَكْبَر يا رسول الله؟ قال: مُجَاهَدَةُ العَبْدِ هَوَاهُ ﴾[1]

[1] قال العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه.

الفصل الأول

وصف النفس

ما النفس؟

ما النفس ؟

أو ما النفوس التي أجاهدها ؟

وقبل أن أتناول هذا الموضوع المتشعب، لا يفوتنى أيها القارىء الكريم أن أنبه إلى أنني أقتصر فى الحديث عن النفس، من ناحية كتاب الله، وسنة رسول الله، حيث حرص الصوفية — في كل زمان ومكان — علي ألا يشغلوا السالك بالتعريفات الفلسفية عن النفس، وما قاله فيها الفلاسفة وعلماء النفس قديما وحديثا، لأن هذا في نظرهم علمٌ لا يضر جهله، ما يحتاج إليه المرء هو الذي يحرص علي تعلمه، وما يحتاج إليه في كل عمل ليبلغ أمله.

فأقول وبالله التوفيق أن النفس هي القوة الغيبية التي تسيِّر الجسم، وتجعله يسير ويتحرك ويمشي في هذا الكون .

أو بتعبير آخر فالنفس الإنسانية أى التى خلقها الله في الإنسان نفساً هي الجوهر المهيمن على القوى الربانية الجسمانية التى تسير هذا الإنسان في حياته الكونية, فلها السيطرة على القوى الغذائية وعلى القوى الهوائية، وعلى جهاز ضخ الدم وعلى كل القوى التى تعمل في داخل الإنسان.

ولذلك ترى نفسك تفعل ولا تستطيع أنت أن تتحكم في هذه الأفعال إلا إذا أراد الواحد المتعال, فأنت تأكل لكن هل تستطيع أن تحرك جهازك الهضمي ليهضم الطعام كما تريد في الوقت الذي تريد؟

أبداً وذلك لأن الجهاز الذي يسيطر يتلقى من الحميد المجيد وليس منك!

فأنت من تُناوِلْ الطعام وتدخله ولا تستطيع أن تتناول إلا إذا يسر لك المفاصل وجعلها تستجيب لطلبك ولأمرك فتحمل وتعطى لفمك وبعد ذلك من الذي يشرف على الهضم؟ .. النفس !!

ولذلك فهى التى تطلب فتشعر الإنسان بالجوع وتشعر الإنسان بالشبع! فأين موضع الجوع؟ وأين موضع الشبع؟ وكيف يظهر عند الإنسان الإحساس بالجوع والشعور بالشبع؟

إنها أمور عجيبة وغريبة لا يدريها الإنسان, لكن الجهاز المسيطر على ذلك كله هو النفس فهى التى تحرك هذا الكيان بأمر الرحمن ﷻ [الشمس]:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾

فأنت مثلاً تنام ...

ولكن أعضاءك الجسمانية لا تنام!!

فمن الذي يهضم الطعام وأنت نائم؟

ومن الذي يستقبل الأنفاس ويخرجها وأنت نائم؟ ومن الذي يحرك القلب ونبضاته وأنت نائم؟ وما الذي يجعل الجسم يشعر في أى موضع من مواضعه إذا لمس الجلد أى كائن ولو كان صغيراً كحشرة مثلاً! فيتحرك الجسم في الحال .. ويتصرف لإيقاف هذا الكائن؟

هي النفس التى تهيمن على ذلك، فتهيمن على القوى الغذائية وعلى القوى الحيوانية, وعلى القوى الشهوانية, وعلى القوى الغضبية, وعلى القوى السبعية، ولذلك انظر لنفسك عندما تأكل .. هل تأكل ما يعجب عينك أو ما يتذوقه لسانك

أم تأكل ما يروق في عين نفسك أولاً؟

من الذي يشتهي الطعام؟ ... إنها النفس، من الذي يتطلع إلى الأنام ويُعجب بهذه ولا يُعجب بهذه .. هل هي العين؟ ..أبداً فإن العين نافذة تنظر منها النفس, والأذن نافذة تسمع منها النفس, واللسان يعبر عن مكنون ما في النفس ..

قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

والجسم آلات لها تسعى به ... وبريدها الحس الذي أرداها

فالجسم كله آلات لها، ولذلك سيشهد عليها، فهل يجوز للفاعل أن يكون شاهداً؟ فالفاعل هو المجرم وتطبق عليه العدالة لكن الجوارح ستكون شاهدة لأنها ماهى إلا ألات والفاعل الآمر الحقيقى هو النفس، قال تعالى فى [٢٤ النور]:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [٢١فصلت]

إذاً فالجوارح كلها آلات والذي يحركها هى النفس.

فالنفس هي مجموع القوى التى تحرك كل ما في الإنسان في هذا الكيان, لكن شكلها وهيئتها وجوهرها وكذلك حقيقتها أين هي؟ .. هذا أمر لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون.

وكل من تحدث في هذا فهو رجم بالغيب أو حديث نفس أو ظنون, وذلك لأنها أمور غيبيه ليس للإنسان الحديث فيها أبداً بالكلية .. تظهر أفعالها لكن لا نستطيع أن نعرف جوهر ذاتها ولا حقيقة كنهها لأنها أمر الله جل في علاه.

وقد يطلق عليها البعض تجاوزاً ... القلب، والبعض الآخر يطلق عليها النفس الناطقة...، وبعضهم يطلق عليها الحقيقة الباطنة.

وهى كلها بمعنى واحد لأن قلب الشئ حقيقته، والقلب ليس مقصودا به قطعة

اللحم الموجودة فيك وفي الحيوان أيضاً، ولكنه يقصد به الحقيقة الربانية التى تهيمن على هذا الجسد وتسيِّرهُ بأمر من يقول للشئ كن فيكون.

ولكن للتوضيح وإزالة اللبس نقول أن النفس ليست هى القلب النورانى الذى هو محل الإيمان ومحل تنزل جمالات الله وإلهامات الله وأنوار سيدنا رسول الله، فهذا شيىء آخر، فهذا القلب هو الحقيقة الربانية التى جعلها الله في الإنسان من عوالمه العلوية من عالم الملكوت، ولذلك فهو الذي يدرك ما جاء من عالم الملكوت من معاني القرآن، وبيان النبي العدنان، والغيوب التى تحدث عنها ﷺ ولا تراها العينان، والذي لا يملك هذا القلب كأهل الكفر يقول فيهم الرحمن:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [٣٧ق]

فهذا القلب النوراني الرباني الذي يقبل كلام الله لا يوجد إلا عند المؤمنين فقط, أما الكافرون فإن فيهم نفوساً وليس لهم قلوب، ولذلك عندما تتحدث معهم يقولون لا نؤمن بشيء إلا إذا أدركته الحواس، فيريد أن يرى الله والجنة والملائكة ويحادثهم ؟ فلا يؤمنون إلا بالحواس، لأن الله غيَّب عنهم ما سواها، ولم يعطهم القابل النوراني الذي به يتلقى الإنسان هذه المعاني, ألاوهو القلب السليم الذى ذكره تعالى فى قوله:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء]

والإشارة هنا أن هؤلاء ليس لهم إلا ما في الصدور أما غيرهم فلهم قلوب.

ولكى تزدادوا فهما عن النفس!! أسألكم سؤالاً .. عندما تأتى المنية للإنسان، من الذي يتوفى؟ من الذى يموت فيلقى الجسد حتفه من وراءه .. من ؟

إنها النفس هى التى تموت وليست الروح أو القلب النورانى، واقرءوا الآيات:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [٥٧العنكبوت]

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾[٩٣الأنعام]،

وقوله تعالى فى الآية الأخرى وإن كانت هذه الآية أكثر علواً [٤٢الزمر]:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾

وذلك لأن الأنفس هنا جمع قلة، وهى تشير إلى هؤلاء الأفراد الذي يتوفاهم الله بنفسه، وذلك لأن دعاءهم دائماً هو:"واقبض أرواحنا بيمناك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن" وهؤلاء هم الأنفس القلة، أما الآخرون ففيهم يقول سبحانه:

﴿ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [١١السجدة]

فكل واحد له ملك موكل ليتوفى نفسه وليس عزرائيل و فقط، لأن عزرائيل فى الحقيقة لا يذهب إلا لمخصوصين، أما خاصة المخصوصين فيتوفاهم رب العالمين عز ﷻ بذاته ... أما الروح فلا تموت ولا تفوت ولا تغرب عند الموت[٥٦الدخان]:

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾

وإلا كيف يشعر الإنسان إن كان مؤمناً بنعيم القبر أو إن كان غير مؤمن بعذاب القبر لو كانت الروح هى من يموت عند مفارقة الإنسان لهذه الحياة الدنيا.

ومن أجمل وأكمل ما ذكر العارفون فى تحليلاتهم الرائعة للنفس:

النفس جوهرٌ مشرقٌ على البدن.

فإن أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة!

وإن أشرق على باطن البدن، لا على ظاهره حصل النوم!

وإن انقطع اشراقه بالكلية حصل الموت!

هذه هى النفس باختصار شديد.

أنواع النفوس ووصفها

ونبدأ بشرح أنواعها وأوصافها إجمالاً ثم تفصيلاً، فنقول وبالله التوفيق:

بادىء ذى بدء، إن النفس المسؤولة عن هذا الجسد .. ليست نفساً واحدة ، وإنما هى نفوس جعلها منها سبحانه أنواعا تعددت بحسب تعدد إحتياجات هذا الجسد الذى خلقه الله ليظهر فيه الإنسان على مسرح هذا الوجود.

وقد فطرها سبحانه على الهيئة التى تدفع صاحبها دفعا حثيثاً ليحصل مقتضياتها وما تميل إليه بطبعها، وهى تدفعه لما تريد لاتلتفت لغير ذلك، فكل نفس منها خلقها الله فى الإنسان إنما جعلها لمنفعته فى ناحية من الوجود إذا استقامت على شرع الله وقنعت بما يصلحها مهتدية بسنة خير البرية فيما يصلح شأن جسد صاحبها فى هذه الحياة الدنيوية، فإن تركها صاحبها لفطرتها ولم يجاهدها ويقيدها بعقال الشرع، أطلقت العنان لطبعها فغوت وأغوت وتمادت وتلونت واختلقت الأعذار وتعدت الحدود وخرقت ميزان أحسن تقويم الذى يحجزها عن جلب الضرر لهذا الجسد فى الدنيا وعند لقاء الله فى الآخرة، وهى تصور لصاحبها أنها إنما تنفعه بنصحها وتمتعه بفعلها وأنها تعمل لصالحه ومنفعته وهى فى الحقيقة تسوقه بتعديها لحتفه وحتفها!!...

ولذا وجب على المسلم فى جميع أطواره ومقاماته جهادها؛ لتعود إلى رشدها وتلزم حدود الشرع الحنيف فيتأتى نفعها ويمتنع ضررها وتكف عن بسط جائر سلطانها على الجسد، ويصبح السلطان الحقيقى عليه لله ولرسوله، فتصير قائمة بتدبير شئونه على نسق الشرع فيصبح الإنسان نافعا منتفعا متزنا مع الوجود من حوله وصالحا لتنزل الأنوار والعودة إلى أصل خلقته قبل نزوله لهذه الدار.

ولذا نقول أن العارفين جعلوا للنفس أمرا عاما يستطيع الإنسان أن يرتكز

عليه في تعامله معها أو تزكيتها أو جهادها ألا وهو أن جهادها في مخالفتها، أي كلما تأمر الإنسان بأمر، يخالف هذا الأمر .

وجاهد النفس والشيطان واعصهما .. وإن هما مَحَّضَاك النصح فاتهما

أي وإن أعطتك أيضا النصح فإتهمها فيه، لماذا..؟، لأنها لا تميل ولا تدعو ولا تنصح إلا إلى ما يوافق حظها وهواها، ولا ترضى بالقليل الذى فيه صلاحها شرعا، ولذا لزمت مخالفتها على الدوام، ولذلك كان مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ، دائما يوقظ أرباب النفوس ويقول لهم :

فهيا يا مريد الوصل وانهض .. ودع عنك التقاعد والتواني

وأول النفوس التى نبدأ بها حديثنا هى النفس الجمادية، وهى التى تدعو الإنسان إلى الراحة وإلى الدعة والخمول والجمود، و هى تعتبر من أخطر النفوس على أهل الطريق ! لأنها تسبب للإنسان وقف الحال، توسوس له وتقول أنت على ما يرام! أنت الآن تصلي الفرائض وتحافظ علي السنن والنوافل، فماذا يريد الله منك بعد هذا! وهى لا تترك السالك إذا ارتقى!، ولكن تغير أسلوبها ولها فى كل مقام حيلُ شتى وألاعيب عجيبة لتجمد الإنسان و تكفه عن بذل المزيد فى طريق الحميد المجيد!!

والنفس الثانية هى النفس التي يتم بها تدبير الغذاء للجسم، وهى التي تجعلك تحسُّ بالجوع و الشبع، وتقوم بترتيب النماء في الخلايا والأعضاء، والإحلال، والإماتة لكل الخلايا الموجودة في جسم الإنسان .. فهذه تسمي بالنفس النباتية، أو النفس المُغَذِّيَّة، أو النفس الغذائيَّة.

أما النفس التي تميل للشهوات من نكاح أومنصب وجاه أو مسكن ومركب أو غيرها من الشهوات التي تسيطر علي الإنسان لتعمير الدنيا وإنشاء المجتمعات، فهذه نسميها في مجملها النفس الشهوانية، وهي تنقسم إلي قسمين أو نفسين يندرجان تحت لوائها؛ نفس حيوانية ونفس إبليسية.

فالقسم الأول يخص النفس الثالثة من أنواع النفوس، وهي النفس الحيوانية التي تختص بالشهوات الجسدية من منكح وملبس ومسكن ومركب، والقسم الثانى

هو النفس الرابعة وهي التي تختص بالشهوات النفسانية من حب الظهور والعلو والسيطرة وتدعى بالنفس الإبليسية وهى رائدة الشهوات المعنوية.

أما النفس الخامسة فهى النفس السبعية.. تظهر ساعة الغضب ..وتدفع صاحبها للقهر والتسلط والمدافعة والمنازعة والمجادلة، وهى تسمي النفس السبعية، لأن صاحبها يتصرف تصرف السباع (أى الحيوانات) عندما يغضب، فهو يرفس كالحمارأو ينطح كالثور، أو يضرب باليدين كالأسد، أو يبصق كالثعبان، وكلها دائرة واحدة تسمي "دائرة الوحوش"، وهي من النفس السبعية.

أما النفس السادسة فهي النفس الملكوتية، التي تتشبه بالملائكة....فهي تميل إلي الطاعة، والإستقامة و الهدي والتوادد ،والتآلف، والتآخي، والتعاون، وتسمي كل هذه بالنفس الملكوتية، وفيها يظهر الإنسان كالمَلَكِ.

وهى التى خلقها الله فى الإنسان لتسود المحبة والعطف والرحمة وليعم السلام والوئام، وليمكن الإنسان من إخضاع جسده لسلطان الروح وليميل عند صلاح شأنه للأحوال العلية، وليمكنه عند ذلك من إخضاع النفوس الأخرى لسلطانها فيستجيبوا جمعياً لحكمها بالتخفف من الدواعى والمتطلبات الدنية والرغبات الذاتية لكى يتمكن الإنسان من بسط سلطان الروح فيحدث له الرقى والتخفف من الدنيا.

وإذا مَنّ الله علي المرء ،..بعد إخضاع نفسه للنفس الملكوتية، ينفخ فيه من روحه بنفسٍ، وهذه خصوصية، وتسمي هنا النفس القدسية، وهم عباد مختارون وهى النفس السابعة، إذاً فالمصيبة الكبرى، فهي النفوس التي بداخلك :

فأنا ليس معي نفس واحدة كما قلنا ولكنها سبعة نفوس ...: نفسٌ جمادية، ونفسٌ نباتية، ونفسٌ حيوانية، ونفسٌ إبليسية، ونفسٌ سبْعية، ونفسٌ ملكوتية، ونفسٌ قدسية، وكل واحدة منها أوجدها الله لغرض، وخلق الله فيها نزعاتها ووسوستها وهواجسها وخواطرها، وأمراضها وآفاتها، كما سنَّ لها من الشرع الشريف ما يصلحها وبه علاجها وتزكيتها...

والآن إلى التفصيل ....

أولاً: النفس الجماديّة

وهى التى أشار الله تعالى إليها فى كتابه الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾ (٧السجدة)، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ (١٤الرحمن)

فبداية خلق جسم الإنسان من طين أو صلصال وهذا كله على أطواره جماد، والجماد صفته الجمود فى ذاته فهو لا يتحرك ولا يتبدل إلا بدافع خارج عنه.

ولذا خلق الله فيه هذه النفس التى تناسب منشأه الأصلى الذى خلق منه جسده، فجعل الله النفس الجمادية فى الأنسان لشده إلى إصله فتدفعه إلى الدعة والراحة ثم الكسل والجمود، وهى لا توسوس للإنسان سافرة عن وجهها وإنما هى تقول له أنت قد تعبت والإنسان بعد كل مجهود يحتاج إلي راحة .. وهذا طبيعى ..؛ ثم تزين لك الراحة وفائدتها لتطيل فيها، وهى تماطل وتتحايل وتقول لك لم العجلة فالعجلة من الشيطان!، وأنت تصدق أنها تنصحك فتتبعها مرة وتدفعها مرة، وهى لاتمل حتى توقعك مرة بعد أخرى فى حبالها وشباكها، وتجعل إستراحتك تمتد وتصير محباً للكسل والوخم والخمول ويفوتك الخير الكثير ...

وهكذا فإن السالك إذا ترك نفسه الجمادية لفطرتها! طبعته بصفة الجماد الذى لا يحيا ولا ينمو، فأصبح جامداً هامداً خامداً، فإذا أدام اتباعها وعمل بنصحها، وأهمل جهادها ! وترك مخالفتها! ابتلى بحب الراحة بلا داع! وبالكسل عند الحاجة للنشاط! وبكثرة النوم!! وحب الدعة والجلوس مع أهل الغفلة.

فالنفس الجمادية هي التي تريد أن تجمِّدني عن طاعة الله، وتجعلُني أتكاسل، وكلما أنهض تثبِّطنى، وتُقْعِدني عن ذكر الله أو عن طاعة الله أو عن زيارة أخ في الله، أو عن أي عمل يقربني إلى حضرة الله.

وإذا حاولت جهادها، لا تستسلم وتكف، بـل تـدور وتلـف وتـأتى إلى بالأسباب التي أعفيها بها من المساءلة، فتقول لى مثلا أن التصوف والطريق كان للقوم الذين ليس لهم عمل!! كالصحابة ...كان لديهم الوقت وليس عندهم مشاغل مثلنا! فنقول لها أيتها النفس الجامدة الخامدة!! هذه دعوى الجهلاء!، من قال أن الـصحابة كان لديهم وقت فراغ !! ، هل كانوا لا يعملون؟ كلاّ !...بل كانوا في عمل دائـب و مستمر، فقد كانوا لا يفرغون من العمل لحظة، فإما في الجهاد، فإذا رجعـوا مـن الحرب في ميدان القتال، فإلى الحرب في ميدان السعي على المعـاش أو الـدعوة لله ونشر تعاليم الدين ،فهل مثل هؤلاء كان لديهم وقت فراغ!!؟!

إن سيدنا عيسى قال فيهم واصفا أتباع النبى محمد ﷺ : أتباعه رهبانٌ بالليـل وسباعٌ بالنهار، وقد وضح ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ فقال :-

تراهم نهارا كالسباع شـهامة كما أمر الرحمن فى طلـب الـبر

وفى الليل رهبانٌ بذكر إلههـم سكارى حيارى في شهودٍ وفى ذكر

لكن النفس الجمادية تثبِّطك عندما تقوم في الليل لتصلى، قائلة لك أن وراءك عمل في الصباح ! وإذا قمت الليل ..لن تستطيع أن تتقن عملك في الصباح!، وانت تسمع كلامها وتنسى أن الله إذا أقامك ..أعانك .

وخذ مثالاً .. سيدنا عمر كان لا ينام إلا نذراً يسيراً!... لماذا ؟ كان يقـول: إذا نمتُ نهارا ضيَّعتُ رعيتي، وإذا نمتُ ليلا ضيَّعت نفسي، قد تقول : وكيف يستطيع الحياة ... الذي يفعل مثل هذا؟ الأمر سهل، فهذا رجلٌ اعتمد على الله؛ فإذا أخـذ غفوة وهو جالس؛.يقوم وكأنه قد نام يوماً أو أكثر! فلا يشكو من أرق، ولا يتقلـب في السرير ولا يحتاج إلى حبوب منومة أو مهدئة .

والإمام أبو حنيفة كان يعمل تاجرا في السوق، وكان كما تعلمـون يـصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، متى كان ينام؟،كان ينام غفـوة بعـد شـروق الشمس، وغفوة بعد الرجوع من السوق، أما العصر فكان للتـدريس، وبالليـل في

طاعة الله.وكل الأمر.أن النفس توقفنا عند الأسباب، وتضحك علينا وتنسينا:

﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[٢١٢ البقرة]

والصالحون لم يسيروا إلى الله ؛ إلا بهذه الكيفية.

ومن حيل النفس الجمادية أيضا لتثنيك عن المنشط فى الطاعة .. إذا كان الجو بارداً، تقول لك انتظر! الماء بارد والجو بارد، فتقول لها ولكن السخان موجود والماء الساخن موجود!، فتقول لك ولكن الجو خارج البيت بارد! وقد تصاب بالبرد إذا توضأت بالماء الساخن وخرجت! والله أمرك أن تحافظ على نفسك!! ياسبحان الله .. تأتيها من هنا فتأتيك من هناك وما من عذر تدفعه إلا وساقت لك غيره وغيره!! فماذا تريد النفس ؟ تريد أن تُجمِّدني عن طاعة الله!، هذه هي النفس الجمادية .

ثانياً: النفس النباتيّة

أما النفس النباتية فهي القوى الغذائية الموجودة في جسم الإنسان من معدة و أمعاء،والكبد، وغيرها:

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [١٧نوح].

وهؤلاء يعملون بأمر الله، هل تستطيع أن تقول للمعدة تغذّى وانتظري ساعة ثم اهضمي الأكل؟ أو اهضمي هذا واتركي ذاك؟ لا! ليس لك دخل بهذا الأمر!

لماذا؟ لأنها تتلقى أوامرها من ربها، وتقوم بالعمل على ما يرام، حتى تُوصِّل لكل عضو غذائه الخاص به ... فغذاء العين غير غذاء اللسان، غير غذاء الشم، غير غذاء الأذن!، وهكذا! فلو ذهب غذاء العين للأذن لن تبصر العين، ولن تسمع الأذن، لأن لكل حقيقة غذاءها المخصوص، ويأخذ الجسم ما يحتاجه بمقنّنات إلهية

أخبر الله بها خيرَ البرية ﷺ، ما الذي يكفي يا رسول الله هذا الجهاز؟.......قال ﷺ :

{ مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ }[٢]

فمتى أُدخِلُ هذا الثلث ؟ ......عندما تجوع..، ....لقوله ﷺ :

{ نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع }[٣]

لماذا ؟ .. لأن المصنع يأخذ احتياجاتنا فقط، والباقي يحوله إلى جهاز الإخراج ليخرجه، لكن الذي يُتعب الجسم : الزيادة!!، فهي التي تزيد في أحماله وأعباءه وتُعّرضه للأمراض، لأنك شغلته كثيراً بغير فائدة أو نفع!!

إذن لا نأكل ..؟؟! .....لا....! بل نجعل الأكل.. مثل الدواء، فنأخذ منه ما يسد داء الجوع ونسير فيه على هدى الشرع لا على راحة وهوى النفس!

فلا يكون همي كله ماذا آكل؟ وماذا أشرب ؟ ومن أين أحضر هذا الصنف ؟ وكيف اصنع في هذا الصنف ؟ لأن الشهوات الزائدة في المأكل، والمشرب من رغبات النفس النباتية ....وإنما ميزاني :

{ بحَسب ابن آدَمَ لقَيماتٌ يقمنَ صلبَه }

لأن القوة ليست من الأكل والشرب ...

ولكنها من القوى ﷻ، وهذه كلها أسباب.

فالنفس النباتية تشغل الإنسان بالشهوات الغذائية والشربية، وتجره إلى المحرمات، إلى أن يأكل ما نهى عنه الله ويشرب ما حرَّمه الله، فيقع في غضب الله ﷻ

فإن استطاع أن يكبح جماحها عن المحرمات الواضحة إلتوت، ودفعته للإستزادة من هذا والتنويع من ذاك حتى يسرف فى طعامه وشرابه ويصاب بالبدانة

---

[٢] (حم ت هـ ك) عن المقدام بن معديكرب ﷺ(ز)، جامع المسانيد والمراسيل
[٣] رواه الحارث بن أبي أسامة والبزار والطبراني وابن خزيمة وابن أبي شيبة عن بُريدة

أو التخمة وأقلها أن تهجم عليه بعض أمراض البدن نتيجة ذلك! وهو لا يرعوى وهى لا تنفك تضحك عليه وتقول له: هل تحرم ما أحل الله لك!!

ثالثاً: النفس الحيوانيَّة

وهى النفس التى يقول الله تعالى فيمن ملكته (١٢محمد):

﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾

وهى النفس التى تدفع الإنسان للميل للغرائز الحيوانية والشهوانية التى بها التناسل فتدفعه للميل إلى الجنس الآخر ليكون التوالد ...

وليكون الميل إلى كل ما من شأنه أن يحقق له هذا الغرض؛ من ملبس، ومسكن، ومركب، .. فيندفع لتعمير الأرض ..؛ فيزرع .. ويستخرج ..، ويبنى ويصنع.. ، ويأكل .. ويشرب.. ، ويلبس.. ، ويسكن .. ، ويتزوج .. وينجب، ويكون الأسر !فالمجتمعات! والدول.

فهذه النفس هى التى تدفعه لعمارة الدنيا عَدَداً وعَتَاداً، وإذا أسلم الإنسان قياده لهذه النفس الحيوانية وقع فى المحرمات واستسلم للشهوات وأنتشرت المفسدات وقادته إلى الزنا واللواط والمنكرات والإسراف والتبذير فى الملبس والمسكن والمركب واصبح المجتمع أحط من مجتمعات الحيوانات، قال تعالى فى شأنهم :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (١٧٩الأنعام)

فإذا استدموا فى غيهم ولم يعودوا إلى رشدهم، وطبعنهم النفس الشهوانية بطبعها الدنى واستمرأوا ذلك؛ قادتهم إلى حتفهم بالنهاية كما ذكرت الآيات الكريمة التى استهللنا بها شرح هذه النفس الحيوانية..

رابعاً: النفس الإبليسية

النفس الإبليسية هي التي تميل إلى إظهار الفساد في الأرض بالغيبة والنميمة، والفتن والشحناء والمكر والدهاء والحقد والحسد، وهذه هي بضاعة إبليس......!!!
ويقول الله تعالى واصفاً من تغلبت عليه هذه النفس :

﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾(١١٢الأنعام)

كما أنها هى النفس التى تدعو الإنسان فى هذه المجتمعات التى أنشأها وعمَّرها بالتناسل وملأها بالمصالح والأشغال، تدعوه فى وسط الناس إلى حب العلو والظهور والرغبة فى القيادة والجاه والرياسة والسيطرة.

فهى النفس التى خلقها الله فى الإنسان أصلاً ليكون ذو مكر ودهاء وحيلة للتعامل مع كافة تطورات وتقلبات الحياة، وتجعل لديه الرغبة فى العلو والتميز ليقوى بعضه على قيادة بعض، وليوجد فى المجتمع من يسوسه ويقوم على شأن أفراده وحل مشكلاته بداية من الأسرة وحتى الدول والأمم.

خامساً: النفس السبعية

أما النفس السبعية :.فهي النفس الغضبية، وهى قوة الغضب الموجودة في الإنسان، فوقت أن يغضب الإنسان تظهر عليه صورة السباع، ولذا يقول الله تعالى فى شأن من سيطرت عليه قوى هذه النفس :

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ ﴾(المدثر)

وعندها فإنه يقلد هذه الحيوانات فيضرب بيده مثل الأسد! أو ينطح برأسه مثل الخروف أو الثور! أو يركل بقدمه مثل الحمار! أو يبصق مثل الثعبان !.فيكون مثل الناس الذين يربّون أنفسهم في هذه الحظيرة، أو في المجتمعات السَّبعية.

أما المؤمن.فغضبه بميزان وضعه النبى العدنان !! متى يغضب؟ ولَم يغضب؟، قال هند بن أبي هاله ﷺ فى وصفه ﷺ :

{ وَلاَ تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَلاَ مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُوطِيَ الْحَقُّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لاَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلاَ يَنْتَصِرُ لَهَا } [٤]

فالكفار يؤذونه ويحاربونه ويُسقِطون أسنانه، فيسألوه أن يدعو عليهم فيقول:

{ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون }[٥]

وقد كان يتحمّل الأذى، ولا يظهر عليه، يقولون شاعرٌ... فلا يرد عليهم، فيرد الله عنه، فيقولون مجنونٌ،فلا يرد أيضا، فيرد الله ﷻ عنه قائلا:

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ [٤١الحاقة]

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [٢٢التكوير]

وكلما يتهمونه بشئ لا يرد ﷺ عليهم، فيرد الله ﷻ عنه ، وفى هذا يقول الله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [٣٨الحج]

والمؤمنون متى يدافع عنهم ؟ ...الله !

هذا ... إذا كانوا على مثل هذا الحال، الذي كان عليه رسول الله ﷺ.

---

[٤] جامع المسانيد والمراسيل، عن هند بن أبي هالةورواه الترمذى فى الشمائل وغيرهم كثير

[٥] رواه ابن حبان والطبرانى والبيهقى عن سهل بن سعد

فإذا ظهر شئ يغضب الله، أو يُنْتَهك فيه شرع الله، كان ﷺ لا يقوم لغضبه شئ لأنه يغضب لله وليس لأحد سواه.

وهكذا كان أصحابه جميعاً ومنهم على سبيل المثال سيدنا على ﷺ الذى قاتل الرجل بشراسة حتى إذا تمكن منه؛ بصق الرجل فى وجهه قبل أن يجهز عليه فتركه سيدنا علىُ وقام! قال الرجل مندهشاً: لم؟ وقد تمكنت منى!، قال كنت أقاتلك لله، أما وقد بصقت فى وجهى؛ فإنى خفت أن أقتلك إنتقاما لنفسى وليس لله!!!

وليس كما نفعل نحن الآن، فأنا أغضب من زوجتي وأقيم الدنيا، إذا تساهلت في حقي بعض الشئ، أما إذا تكاسلت في حق الله، لا أكلمها ولا أعاتبها ..!

وأيضا أفرح بإبنى إذا طلع الأول في الإمتحان، وأقيم الزينات والأفراح، وأريد الناس كلها تبارك له بالنجاح .... من أجل أنه نجح في الإمتحان !!

وجائز.. هو راسب عند الديّان : لا يصلى، ولا يعرف أوامر الله، وأنا غير مشغول بهذا الأمر....!!!!

وهذه هي المصيبة التي يقع فيها كثير من عباد الله ،!

إذن يجب ألا أغضب ..إلا إذا انتهكت محارم الله ﷻ.

فقوى النفس السبعية: .. تظهر عند المنازعات والإحتكاكات بين أفراد المجتمع والدول، وهى قد خلقها الله أصلاً لتبعث فى الإنسان القوة والغضب التى بها يدافع عن نفسه وأهله ووطنه عند مقتضى ذلك، ويتولد منها القوة والشجاعة والحماسة وكل المعانى المشابهة التى لا تصلح حياة مجتمع بدونها ولا يستقيم أمنه فى غيابها.

وهاتان النفسان الأخيرتان الإبليسية والسبعية ، هما اللتان إن تعدتا حدود الشرع فى المجتمع فبدلا من أن ينعم المجتمع بالأمن والقوة والشجاعة والقيادة الرشيدة والقضاء العادل، فهما اللتان يذوق المجتمع بسببهما القهر والإستبداد والظلم والتسلط والإنتقام والمكر والخداع والنصب والإحتيال وينتشر الإجرام والحوادث؛ وذلك عندما تتسلط هاتان النفسان على الأفراد وأهل الحل والعقد فلا يلتزمون الشريعة ويسير الأفراد على هوى نفوسهم السبعية والإبليسية والشيطانية!!

سادساً: النفس الملكوتية

ولكي يدخل الإنسان على النفس الملكوتية لا بد أن يكون كما قال الله تعالى في محكم الكتاب :

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٨٩الشعراء].

متى يكون القلب سليما ؟، إذا سلم من الإصابة بهذه الآفات السابق ذكرها كلها، ولا يتم ذلك ...: إلا إذا أَعْطيتَ مقاليد القيادة في مملكتك، للنفس الملكوتية الموجودة بداخلك، فهي التي تحثُّك على طاعة الله، وعلى الحياء من الوقوع في الذنب خوفاً من غضب الله وانتقامه ﷻ.وأول علامتها الحياء، ولذا قال ﷺ :

{ الحياء من الإيمان }[6]

وقال ﷺ أيضا :

{ إِنَّ الْحَيَاءَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ }[7]

فالنفس الملكوتية تحث الإنسان على عمل البر والخير والطاعة والمعروف، و المَلَكُ والإنسان فيها، كما قال الرحمن [٦التحريم].:

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

ولذلك ربنا سبحانه سمَّي الملائكة "عباد الرحمن".في قوله ﷻ:﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا [١٩الزخرف]﴾، وقال تعالى في الإنسان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٦٣الفرقان]، فالملائكة "عباد الرحمن".، والمطيعون لله أيضا سمَّاهم الله "عباد الرحمن"، فعباد الرحمن يترلون

[6] رواه البخاري عن ابن عمر
[7] إِنَّ الْحَيَاءَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ » الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن يسير بن جابر ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل

علي عباد الرحمن...في قوله :

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ .

من هم يارب ؟

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾[٣٠فصلت].

حكّموا النفس الملكوتية في تسيير دفة المملكة الإنسانية، فأصبحت هي التي تسيِّرُها، وهي التي تمشِّيها، وتتحكم فيها في ذهابها، وإيابها .

إشارة لطيفة : الخاطر الأول

وهنا إشارة لطيفة ومفيدة قالها الصالحون لمن يسعون في تزكية نفوسهم، ولمن يعمل على تنفيذ مرادات النفس الملكية وإلهاماتها، يقول لك الصالحون عليك بالخاطر الأول! فإن النفس الملكية تأمرك بأمر..! فإذا انتظرت بعض الوقت لتنفيذه ،... تأتى النفوس الأخرى لتنتقص من هذا الأمر؟

ومثال ذلك :

الإمام الجنيد ﷺ، وقد كان أحد تلاميذه يحج . وكانوا مؤدبين، وعندما رجع من الحج ؛......قبل أن يذهب إلى بيته ذهب إلى بيت الأستاذ حتى لا يكلفه بمشقة الذهاب إليه، وبعد عودته إلى مترله إذا بالباب يدقّ...! فقال : مَنْ بالباب ؟، قال : الجنيد . فقال في نفسه : إنه شيخى، لأنى لا أعرف أحدا في بغداد بهذا الإسم غير شيخى . ثم تردّد وقال في نفسه: أنا قادم من عنده، فلمَ يأتيني الآن؟، فلم يفتح الباب؛ فدق الباب ثانية، ففتح التلميذ الباب، فإذا بشيخه الجنيد أمامه!، فقال الأستاذ :.ما منعك أن تفتح الباب من الخاطر الأول ؟

قال : يا سيدي! ما كنت أتوقع أن تأتيني؛ لأنى أتيتك، فقال الأستاذ : هذا

فضلك (مجيئك إليّ)، وهذا حقك (قدومي إليك).

وهكذا الأمر..

فالنفس الملكية تقول أنا أريد أن أعط فلاناً خمسة جنيهات لأنه محتاج أو فقير، فإذا توانيت لحظة في التنفيذ، تأتى النفوس الأخرى كما قال تعالى ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ (١٢٨النساء) فتقول أعطه ثلاثة، ثم أعطه إثنان، ثم تقول لك أنه ليس محتاجاً!. لا تعطه شيئا..!!، فإذا بالخير وقد ذهب منّى !!!

ولذلك فعليك بالخاطر الأول، فعندما تأمرك نفسك بعمل من أعمال الخير سارع إلى عمله، ولا تتوانى لحظة.

فإذا استيقظت في الليل لتقوم للتهجد، تقول لك النفس، باقٍ على الفجر ساعة وهذا وقت طويل، ويكفيك صلاة ركعتين، فنم وعندما يتبقى على الفجر ثلث ساعة، تقوم!، فتنام ولا تقوم إلا بعد أن تسمع الناس خارجين من المسجد بعد الصلاة!.. ما سر هذا ؟، أنّك لم تسمع كلام النفس الملكية التى أمرتك بالخير!، ولم تنفذ الخاطر الأول !!.

وكذلك عندما يعطيك الله مالا من أجل الحج!، تقول النفس الشح: العيال أوْلَى!، والحقيقة أنى لا أعرف هذه الفتاوى من أين أوجدوها ؟..، مع أن العلماء أجمعوا أن الحج فريضة، أما زواج الأولاد فليس فريضة عليَّ، وإنما تربيتهم هي التي فُرضت عليَّ...

عندى حج، وعندى ولد سيتزوج ...، ماذا أفعل ؟ ... أبدأ بالحج ؛ لأنه فرض فرضه الله عليَّ..وهو دَيْنُ سيحاسبني الله ﷻ عليه، بينما أنا غير مكلَّفٌ بتزيج إبنى!، ولكنّى مكلّفٌ بماذا؟ .. بالتربية فقط، وإن كان الأمر يختلف بالنسبة للبنت المؤهلة للزواج، فالواجب البدء بتجهيزها.

ولذا تخدعه نفسه فيقول أنتظر إلى أن انتهى من زواج الأولاد، ثم أحج!، ولكن ما الذي يحدث ؟، أنه عندما ينتهى من زواج الأولاد؛ أما لا يجد عنده مالاً! أو لا يجد صحة ! فيقولون له : سقط عنك الحج، لأنه لم يعد لديك صحة!! .. وهذا

خطأ أوقعته فيه النفس يا اخواني.... فطالما أن الله ﷻ هيّأ لي الأسباب : لا أتوانى عن تنفيذ أمر الوهاب ﷻ لحظة ، ولا طرفة عين ولا أقل من ذلك .

فالنفس الملكوتية .. بها العطية..فبعد إن تزكيها يأتي لك الفتح، وعلى يديها تأتى لك الفراسة ..:

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله }٨.

ويجئ لك الإلهام .، ثم يجئ لك النبي ﷺ، ويفتح الله لك باب العطاء..، لأنه "مكتوبٌ على حضرة القدوس لا ينالها أصحاب النفوس".

وحتى النفس الملكية لها آفات:

فآفات النفس الملكوتية أن النفوس الأخرى، ربما تضحك عليَّ فتوصل للنفس الملكوتية وشاية .." أني أنا الذي أعمل هذا وذاك من أعمال الخير والبر "، وهذه مصيبة في طريق الله ﷻ !!، لأني لا أرى توفيق الله، ولا معونة الله، ولا فضل الله، ولا إكرام الله ﷻ لي في هذه الأعمال.

ولذلك على السالك أن يستمر في الجهاد، إلى أن يرى فضل الله عليه، وفيه، فيرى أنه لا يتحرك حركة، ولا يسكن سكنة، إلا بتوفيق من الله، وبمعونة من الله، وبإذن من الله ﷻ له، فمن ينظر بيقين في أعماله، يشاهد فيها فيلم تليفزيوني ؛ يرى فيه فضل الله وتوفيق الله ومعونة الله.

وفى هذه الحالة ينسى حظوظه ؛ لأنه يرى أن أكبر لذة يتمتع بها، هي ذكرُ الله، لأنه ليس عنده لذة أكل اللحم، ولا الجاتوهات!، لأن اللذة العظمى عنده في ذكر الله ﷻ، والمنة الكبرى لديه أن يتعطّف المصطفى ﷺ عليه، ويوقفه بين يديه، فهذه المنة، لا تساويها كنوز الدنيا كلها من أولها إلى آخرها.

وأهل النفوس الملكية هم عباد مختارون:

فالحق يمنُّ عليهم ببسط سلطان النفس الملكية حتى يشاهد الواحد

---

٨ رواه الطبراني عن أبي أمامة

منهم.مشاهداً ملكوتية فيري ملكوت الله[٩]، ويري ملكوت الإنسان، وما فيه من غيب الرحمن، يري ملكوت الصدور وما فيه من خواطر سببها النور، ويري ملكوت القلوب وما فيه من خواطر يجريها علام الغيوب، ويري ملكوت السموات وما فيه من عوالم الملائكة وعوالم الجنَّات ...

ولكن ليس لأصحاب النفس الملكية إطلاعٌ علي الحضرة القدسية، وعند سدرة المنتهي يقول.ها هنا انتهي مقامي!.

ويظل في هذا الجهاد، حتى يتفضل عليه الكريم الجواد؛ فيفنيه عن نفسه وعن حسِّه ويتفضل عليه الله ﷻ بنفخة من روح قدسه ....

ويعطيه الله ﷻ النفسَ القُدُسية .

سابعاً: النفس القدسيّة

وهى التى قال ربنا فيها:

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ [غافر].

و صاحب النفس القدسية، التي هي من روح القدس:

هذا هو الذي يشاهد المجالي الذاتية، وعوالم العزة، وعوالم الجبروت، و عوالم اللاهوت، وعوالم النعموت، وعوالم لا يعلمها إلا الحي الذي لا يموت، وهذه عوالم القدس الأعلي، التي هي لأهل النفوس القدسية.

والنفس القدسية هى النفس المحفوظة عن المعاصي.

---

[٩] الملك هو كل ما يرى بعين الحس، والملكوت هو كل ما غاب عن العين .

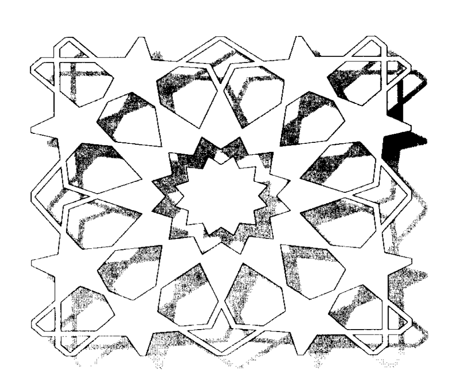
وهى النفس التى إن وهبها الله تعالى لعبده يتعهده بحفظه.

فكما تعهَّد أنبياءه ﷻ بعصمته، يتعهَّد أولياءه بحفظه وكلاءته وصيانته فحتى لو خطرت المعصية على باله ــ وهذا لا يحدث ــ فإن الله ﷻ يمنع عنه الدواعي، فلا يجد الأسباب التي تعينه على فعلها بل يجد الأسباب التي تردُّه عن الاقتراب منها..، قال ﷺ:

{ إِنَّ مِنَ العِصْمَةِ أَن لاَ تَجِدَ } [١٠].

وليس المعنى فقط كما يظن البعض ألا تجد ما تستعين به على المعصية من مال أو رفقة أو صحة، ولكن من المعانى العلية فى الحديث ألا تجد لك فى نفسك داعياً يدعوك إلى المعصية ولا دافعاً يدفعك إليها.

فهذه هى أنواع النفوس ووصفها .



[١٠] الدرر المنتثرة، للجلال السيوطى ، رواه الإمام أحمد فى زوائد الزهد عن عون بن عبدالله

الفصل الثاني

أساس جهاد النفس

الدواء والطبيب النفسى

الأسس الأربعة

الأساس الأول: المطعم الحلال

الأساس الثانى: تحصيل العلم الشرعى اللازم والعمل به

الأساس الثالث: إخلاص العمل لله

الأساس الرابع: المرشد العالم العامل

نفسك هى الطريق إلى الله

قال ﷺ : ﴿ لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي إِذَا قَتَلَكَ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ وَإِذَا قَتَلْتَهُ كَانَ لَكَ نُوراً، وَلَكِنْ عَدُوُّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ ﴾

الديلمى عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه

الفصل الثاني

أساس جهاد النفس

موضوع جهاد النفس، ذو أهمية بالغة لكل سالك، ولكل واصل، ولكل عارف، ولكل متمكن، وإن الصالحين والعارفين....أفنوا أعمارهم في تحليل خلجات النفس، وبيان أطوارها، وتوضيح خفايا ما توسوس به فى الصدور، وما تفعله في قلوب المتقين .. من خواطر إلهامية، ومن أحوال ربانية، وقد جعل العارفون مراقي السالكين بحسب مراتب جهادهم للنفس، وهذا أمر سنعود إليه بالتفصيل لاحقاً ...

الدواء والطبيب النفسى

قرر الصالحون أنه من أراد جهاد نفسه؛ فلابد أن يكون ذلك على أساس أدوية من كتاب الله، وأشفية من سنة سيدنا ومولانا رسول الله، وعلى يد حكيم ربانى، وطبيب نفسى روحانى، أُذِن بذلك بإذن صريح من سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك نقرر بدءا ذى بدء:

أن كل من يقرر علاجا للنفس، يخالف شرع الله، فهذا أمر شيطانى، أو أمر نفسانى، يخالف به المولى جلَّ وعلا..!! إذن أول ما قرره العارفون فى جهاد النفس: .. أن جهاد النفس لا بد أن يكون بأدوية من كتاب الله، وأشفية من سنة سيدنا ومولانا رسول الله، استنبطها عارف مأذون، بإذن صريح من سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، وغير هذا الكلام لا نرضاه.

وكل من يقرر جهاداً للنفس على غير الشرع الشريف، وعلى غير الهدى المحمدى الحنيف ، فهذا لهوى فى نفسه، أو ضلالٍ مستكنٍ فى طبعه، أو لعمى بحظه، عن طريق شرع ربه ﷻ ، ولذلك قال ربى سبحانه :

﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[١٧الكهف].

أى أنه أخذ طريق الضلال، وسبب الضلال: أنه لم يجد ولياً مرشداً يأخذ بيده.

فكل من يأمر مريداً أو سالكا بأمر مخالف للشرع:

فعليه أن يتوقف ويراجعه، ولو رأى على يديه صريح الكرامات.!!، ولو سمع منه خاصة الإلهامات..!!.ويقول له كما قال الخليل : أخبرنى بحقيقة الأمر وجلية الأمر، ليطمئن قلبى. فلا يفعل الإنسان السالك إلا ما يطمئن إليه قلبه.

ولعلكم تذكرون جميعا، الحديث الشريف الذى يقول فيه سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا واصبة ﷺ :

{ إِسْتَفْتِ نَفْسَكَ، قَالَهَا ثَلاَثَاً: الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَتَرَدَّدَ فِي صَدْرِكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ } [١١].

وهو حديث واضح وصريح، فإن كان إمامى ومرشدى محفوظاً فأنا ما زلت لم أدخل دائرة الحفظ، ولذلك أطالبه بأن يوضح لى، حتى أُحفظ من الهواجس والشكوك والظنون وغيرها ،.... لأدخل على حضرة الله ورسوله سليم القلب...:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٨٩الشعراء]

وفى ذلك يوضح مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ، أدب جلوس الرجل مع المرأة، ولو كان شيخا هماماً والملائكة رهن إشارته!، يقول قد قال حبيبي ﷺ قولا صحيحا :

{ وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فلا يَخْلُوَنّ بامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَها ذو

[١١] حم، ع، عن وابصةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، جامع المسانيد والمراسيل

محرمٍ مِنْها، فإنّ ثالِثهُما الشّيْطانُ }[١٢].

أى فى خلوة – والخلوة هى أى مكان مغلق عليهما، فلو جلسا فى مكان مفتوح فليس ذلك بخلوة – إلى أن يقول ﷺ : لو كان الرجل واثقا من نفسه، مطمئنا إلى حفظ ربه ﷻ له، فهل هو واثق من التى تجلس معه؟..ألا تسرح بها الخواطر؟...أو تذهب بها الظنون..؟! أى نفترض أنه واثق من نفسه..! لكن هل هو واثق بمن يجالسها..؟ إذن السلامة فى اتباع الشرع :

حافظ على السنَّة، ولو بُشّرتَ بالجنَّة.

لسنته فاحفظ وكن متأدباً ... وحاذر فحصن الشرع باب السلامة

فكلنا نريد السلامة، والسلامة هى الطريق الذي ليس بعده ندامة، فلا تعود مرة أخرى تعيش في ندم داخلي أو حديث باطنى!.. لم فعلت كذا أو كذا؟ إذن يجب الإطمئنان من البداية، فالبر ما اطمأن إليه القلب، وإن أفتوك !.وإن أفتوك !.وإن أفتوك!. والإثم ما حاك فى صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس، ولذا نعيد ونكرر ونأكد ونقول أن أول مبدأ قضاه العارفون ونبه عليه الصالحون وحرصوا عليه فى جهاد النفوس:

- أن تكون وسائل الجهاد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.
- وتكون الكيفية والهيئة والأدوية والأشفية التى يتناولها السالك ليجاهد بها نفسه، موصوفة على يد حكيم ربانى نورانى، ماصفته؟

هو حكيم أو طبيب مجرب ذو خبرة ودراية ، اصطفاه الله وانتقاه الله ، ورقاه وأدناه سيدنا ومولانا رسول الله، وأذن له سيدنا رسول الله إذناً صريحا أن يعالج الناس على بصيرة من الله قال الله تعالى [١٠٨يوسف]:::

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

[١٢] عن جابر بن عبد الله ، فى مسند الإمام احمد

تلك الرياضة يا مسكين غايتها ... ذُلّ ومسكنةٌ إن صحَّ أنت ولى

وجهاد النفس هو الجهاد الأعظم كما ورد بالحديث الشريف.

ولكى يخوض الإنسان هذا المضمار، فلابد له من عدة وعتاد حتى يسلك هذا السبيل عن بينة، وإلا قطع السنين والأعوام وهو لا يتحرك ولا يرقى فى السير والسلوك ... لابد له من وضع الأساس أولاً ...

وهذا الأساس مكون من أربعة أعمدة : .. أولها المطعم الحلال، وثانيها العلم والعمل بمالابد منه من الشرع الشريف، وثالثها هو تحرى الإخلاص لله فى العمل، ورابعها هو المرشد، وهذا الأخير هو الباب الذى يدخل منه على ميدان الجهاد على بينة، فإذا دخل ميدان الجهاد على يد المرشد العامل:

علَّمه المرشد ثلاثة أشياء لازمة لهذا الميدان: أولها هو ماذا يجاهد؟، وثانيها : كيف يجاهد ؟ وثالثها لماذا يجاهد نفسه؟ وماالهدف من هذه الحرب التى يخوضها ؟

وكل هذا سنتناوله فى الحديث بتفصيل غير ممل وإيجاز غير مخل، فنقول وبالله التوفيق ومنه العون والسداد :

الأسس الأربعة

الأساس الأول: المطعم الحلال

وهو الأساس الأول فإذا أهمل جانب المطعم الحلال فكل أعماله حابطة وهابطة و باطلة، إذاً فالأساس قبل جميع المجاهدات ... الأساس الأول لا بد أن يتحرى أكل الطيبات، لماذا؟ بين الحبيب ﷺ ذلك وأقسم !

على ماذا تقسم يا يارسول الله :

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ

يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ } ١٣

فأى جهاد ينفعه ! وكيف يسير فى طريق القوم خطوة وهو أصلاً لا تقبل منه صلاة ولا صيام ولا حج، وكل أعماله مردودة عليه !

بل إن الله تعالى يقول له :

{ لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ ، وَحَجُّكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ } ١٤

فلابد من المطعم الحلال...

و هذا هو الأساس الأول.

ولنا أسوة كل الأسوة فى هذا الصحابى الذى ذهب لرسول الله ﷺ ليعليه ويرقيه بدعوة نبوية ليكون بسرها مستجاب الدعوة!، هل دعا له ﷺ ؟

لا .. بل دعاه إلى جهادنفسه!، ووصف له روشتة نبوية تبلغه أمله، ما روشتة الحبيب له؟ قال له ﷺ واضعا أساس الجهاد وراسما سبيل الرشاد:

{ يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }١٥

فالأساس الأول لجهاد النفس هو:

إطابة المطعم وتحرى الحلال فيه، وهذا يقرب العبد من مولاه لأن الله أمر بذلك المرسلين وأمر بذلك المؤمنين أجمعين، أنظر إلى تكليف الله للمرسلين فى ، ماذا قال تعالى لهم:

﴿ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾(٥١ المؤمنون)

بل ويقول ﷺ بعد أن بين أثر اللقمة الحرام فى بطن العبد...

أنه حتى الثوب على جسده يمنع قبول العمل إن دخل فيه درهم حرام :

---

١٣ الْمُعْجَمُ الأَوْسَطُ لِلطَّبَرَانِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاس

١٤ أَمَالِي ابْنِ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: قَالَ ﷺ: مَنْ حجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ فَقَالَ لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، قال اللَّهُ لهُ: { الحديث }.

١٥ الْمُعْجَمُ الأَوْسَطُ لِلطَّبَرَانِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاس

{ مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَوْبِهِ دِرْهَمٌ مِنْ حَرَامٍ لا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَلاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ } ١٦

وهذا نأخذ منه أن المطعم الحلال لايعنى المأكل فقط! وإنما هو المطعم والمشرب والملبس والمسكن والمركب وكل نفقة ينفقها العبد لابد أن تكون من حلال زلال وينفقها بلا سرف ولاتقتير ولا مخيلة.

ومن هذا الأساس فلا يغش ولا يخدع ولايبيع الوهم والخيال أو الدجل والإحتيال ولا يطفف المكيال والميزان ولا يهضم حق وارث ولا يأكل مال اليتيم بالباطل، ولا يغش المؤمنين فى زراعته بالهرمونات وكذا المواشى والطيور أو المبيدات الممنوعة! والله تعالى فرق بين الحق والباطل فقال ﷻ [١٠٠المائدة]:

﴿ لا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾

فهذا الخبيث الكثير الذى يعجب النفس المريضة ، يحذر منه المجاهد لنفسه فى المقام الأول لأنه ينقض الأعمال ويجعلها داخلة فى قول الله ﷻ [٢٣الفرقان]:

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾

فكيف يبنى بنيان جهاده ويسير فى طريق تزكيته لنفسه وقد حكم على البنيان بالخراب من قبل أن يبنى ومنى نفسه بالفشل من قبل أن يبدأ لقوله ﷺ :

{ اتَّقُوا الْحَرَامَ فِي الْبُنْيَانِ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْخَرَابِ } ١٧

فهذا هو الأساس والعمود الأول فى بناء جهاد النفس وتزكيتها وهو تحرى الحلال فى كل نفقة ينفقها فى أى غرض أياً ماكان.

ولا أنسى أن أشير إلى أن القوم لا يقبلون عاطلاً فى طريقهم، فمن لم تكن له

---

١٦ شُعَبُ الإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ، ومسند أحمد بن حنبل ومسند عبد حميد عن ابْنَ عُمَرَ
١٧ مُسْنَدُ الشِّهَابِ الْقُضَاعِيِّ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ

حرفة يتكسب منها وينفق منها على نفسه وأهله، ردُّوه ليتعلم صنعة فيعزَّ نفسه عــن الحاجة والطلب،ثم يقبلون منه أن ينظروا فى أمر صحبته لهم ! ..

الأساس الثانى: تحصيل العلم الشرعى الضرورى والعمل به

و العمود الثانى الذى يقوم عليه بناء جهاد النفس وتزكيتها:

هو أنه لابد أن يعرف ويعمل بما لابد له منه من الأحكام الشرعية ســواء في العبادات أو المعاملات أو العقيدة أو في الأخلاق .

فطريق القوم ليس بطريق جهل ولا إعتباط، ولا تكاسل عن تحــصيل العلــم والعمل به، مبنى على العلم والتعلم، وليس هناك من دين يجلُّ العلم وأهله، وأجــزل ثواب المتعلمين والمعلمين مثل ديننا، فأولى بكل من أراد أن يسلك سبيل جهاد نفسه ليصل إلى هداه ورشده، أن يجعل العلم رائده فيحصل له مالابد له منه ... لماذا ؟

لأن نفسه هذه التى يريد جهادها ويزمع إحكام قيادها بحدود الشرع ..وذاك الشيطان الذى يعينها ويوسوس لها ...، إنما هما يدخلان للإنسان من الجهة التي يجهل فيها حكم شرع الرحمن ﷻ، فلزم له أن يعرف حكم الشرع في أي أمر يقــوم فيــه بالعمل سواءاً كان العمل من أعمال الدنيا أو الدين أو أي شأن كان .

وأنا أقول لكم ياإخوانى ويا كل من أراد أن يتقرب إلى الله:

إن أفضل عمل يتقرب به الإنسان إلى الله ﷻ ليست الصلاة ولا الــصوم ولا الزكاة ولا الحج، ولكن أفضل عمل يتقرب به الإنسان إلى الله هو طلب العلم الديني والفقه في دين الله ﷻ، فمجلس علم تجلسه عندما نحسب أجره ؟ نجده فــوق كــل تصور وأبعد من كل خيال، فقد ورد فى الأثر في أجر مجلس العلم قولهم :

{ مجلس علم وإن قل خير من عبادة سبعين سنة ليلها قيام ونهارها صيام}

أى سبعين سنة عبادة من غير علم، فلو أن واحداً مكث سبعين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها على جهل، وجاء آخر لم يعمل مثل عمله ولكنه حضر مجلس علم صحح به عبادته لكان له من الأجر عند الله أكثر مما للأول الذى عبد على جهل ولم يكلف نفسه بتعلم مالابد له منه .

قال المعلم الأول ﷺ وهو يحث كل المسلمين على حضور مجالس العلم :

{ اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ } [18] وقال ﷺ: { إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ، قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ } [19] , وقال ﷺ أيضا:{ مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، إِلا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً بِمَا يَصْنَعُ } [20] وقال ﷺ أيضاً { إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ } [21]

ولذا كانت مجالس العلم أفضل من كل هذه العبادات لأن من يصلى ويصوم ويقوم الليل فعبادته سنة أو نافلة و رسول ﷺ أخبر أن طلب العلم فريضة.

ويستوى فى طلبه والحاجة إليه الرجال والنساء لأن الإسلام لم يفرق بينهما في شرع الله، في العبادات أو فى المعاملات الشرعية، أو بكل شيء في دين الله ، إلا بعض الأمور التي تخصُّ الرجال دون النساء والعكس، لكن المجمل عموماً فالكل فيه سواء.

فما هو العلم الفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمه والذى لابد له منه كما قلنا حتى يصح سلوكه لطريق الجهاد، .. نأخذ ذلك من حديث رسول الله ﷺ

---

[18] عن أنس بن ماللك، البيهقي فى شعب الإيمان.
[19] عَن ابْن عَبَّاس، الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبَرَانِيِّ
[20] ابن خزيمة عن صفوان بن عسال المرادي
[21] ابن عبد البر في العلم عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ.(جامع الأحاديث)

عن أركان الإسلام التى بدونها لا ينتصب بناء الإسلام فى قلب المسلم، قال ﷺ:

{ بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ }[22]

فهذا الحديث الشريف:

هو القاعدة المتينة التى لابد للكلّ من أن يشيدها بإحكام، وما عدا ذلك من الزيادات فيتعلمها السالك عند الحاجة إليها أو قريب ما يأتى أوانها من زكاة أو حج أو زواج أو أولاد أو تجارة ومعاملات أو غيرها الكثير، فإذا جاءت كان لها مستعداً فلا يغرر به، ولا يوقعه الجهل فى حيل النفس أو مخالفات الشرع.

ولذا يجب بلا إبطاء ولا توانٍ على كل فردٍ أن يتعلّم إموراً ثلاثة هى العقيدة والصلاة والصيام، ثم رابعاً أمور المرأة للنساء والفتيات من أحكام العورات والحيض والطهارة والزينة الشرعية، يتعلمنَّها أو يتعلمها وليهنَّ ليعلمهنَّ إن أحسن ذلك.

ونفصل الأمر قليلاً بإيجاز، فنقول أن العقيدة تبدأ بالشهادتين، وأسرار هذا الإقرار العظيم لله بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة، وما يستلزمه هذا الإقرار العظيم من الرضا بالقضاء والقدر الذى هو آفة ضغوط العصر، ونحتاج فيها أن نفهم أسس قبول الأعمال ... من الإخلاص لله .. وإبتغاء رضاه، وكيفية تحرِّى الرزق الحلال.

وكذا عليه أن يتعلم كيفية التحصن بالحصون الشرعية من الآيات القرآنية والأذكار النبوية؛ وذلك حتى لا يقع السالك فريسة الوهم أو الدجل أو المشايخ المشعوذين أو قطاع طريق رب العالمين من أشباه المتصوفين أو غلاة المدعين ...، أو غير ذلك عندما تفركه الحياة بين عرض وطلب، أو صحة ومرض، أو فقر وغنى، وغيرها من معتركات الحياة التى لا بد لكل حي من مكابدها ...!!!

[22] عن ابْنُ مُحمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رواه الشيخان

وقد توانى نفسه لجهله عندما يمر بمثل هذه الشدائد!!

ثم الأمران الثاني والثالث وهو علم الصلاة والصيام، وطبعاً معهما الطهارة والوضوء والغسل، ونحن مطالبون بالأحكام التي بها يمكننا أن نؤدي الصلاة صحيحة لله، لا لنتبحر ونفتي في أحكامها، و كذلك الصيام، أما الزكاة والحج فكما قلنا إذا حان حينها فرض علينا تعلم علومها ولاعذر.

وبالطبع هناك حقوق أخرى كثيرة يحتاج كل مسلم أن يتعلمها في وقتها مثل حقوق الوالدين والأقارب ومعاني صلة الرحم، وحق الجار والفقير والمريض وحق الطريق وآداب العمل وآداب الطعام وغيرها، كما يحتاج بالطبع لمعرفة الكلمات المقدسة التي كان سيدنا رسول الله ﷺ يرددها عند كل عمل يعمله في أي شأن من ليل أو نهار حتى يكمل هذه المبادىء التشريعية وهذا ما ستناوله فيما يأتي لاحقاً ... بشيء من التفصيل، وأساس كل ما سبق أن يتعلم كيف يخلص عمله لله ..

الأساس الثالث: إخلاص العمل لله

فالذي يعمل وينتظر الجزاء من الخلق فقد فسخ عقده مع الحق فلا ينتظر أجراً من الحق ﷻ، إذاً ماذا يريد الحقُّ ؟

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [٥ البينة]

في كل عمل، حتى لو اشتريت لزوجتي أكلة حلوة، لا أقول لها أنا اشتريت لك كذا! لأنني اشتريتها لله أولاً .. وليس لخاطر زوجتي في المقام الأول؛ لأنني أريد أن آخذ أجر عملي هذا ممن؟ .. من الله جلَّ في علاه ...

{ إن المرء ليؤجر حتى في اللقمة يضعها في في زوجته }[٢٣]

[٢٣] صحيح البخاري ومسلم عن عامر بن سعد عن أبيه.

لو أحضر لها هذه اللقمة وقال لها "أنا أحضرتها لك لكي تكفى عن طلبها أو لتسكتي" تكون هذه أجرته وانتهى! ولكنها لله! ولذلك لا أشتري لها إلا ما يرضي الله، وليس الحاكم لى رضاها!، رضاء الله أولا! ثم رضاها، لأنني أتعامل مع الله.

بل حتى فى قضاء الواحد لشهوته مع أهله، فتمام الحديث السابق:{ وإن فى بضع أحدكم لصدقة } .. فاجعل لك نية لله ولو فى قضاء الشهوة المباحة!

والمرأة التى تهدى لجيرانها أوأقاربها فى المناسبات وتحسب لهم وتسجِّل هنا خمسون جنيهاً، وعند فلانة زجاجة زيت وكيلو سكر، ثم تنتظر المثل! وإذا لم تعطَ المثل تتكلم عليهم وتشكو! فهل كان العمل لله؟ لوكان لم تنتظر عليه جزاءاً من أحد!

وكذا فى تربيتى لأولادى، ونفقتى على عيالى، وفى تربية الأم لأبنائها، وخدمتها فى بيت زوجها، فيجب على الجميع أن يجعلوا كل هذا لوجه الله وطلباً لرضاء الله، لا لمنفعة أرتجيها، ولا لأمل أنتظره منهم! ... ماذا عندهم ليعطوك ..أو يمنحوك ؟! فلا تعيرهم بما أنفقت .. كما يقول بعض الآباء أو الأمهات لأبنائهم! قد فعلنا لكم كذا وكذا وأفنينا أعمارنا فى خدمتكم ولم يثمر هذا فيكم! أو هل هذا جزاء تربيتنا لكم!

فكل هذا يفسد جزاء هذه الأعمال العظيمة وأنت بهذا تضيِّعها ... لماذا ؟

لأن المؤمنين كل أعمالهم عبادة .... وكلها يقصدون بها وجه الله ويطلبون منها رضاه، ولا من أحد سواه.كان هناك رجل من الصالحين يتعامل بهذه الأحوال، فكان يقول ﷺ لإخوانه معلماً وحاثاً لهم:

{ إني لا أخرج من بيتي إلا إذا استحضرت سبعين نية في خروجي كلها لله ﷻ }

وكلما زادت النوايا زاد الأجر والثواب...

وعلى هذا الحال يا إخواني كان أصحاب رسول الله ﷺ، دربهم عليه الصلاة وأتم السلام على هذا الحال العظيم بإخلاص العمل لله وطلب وجهه الكريم ورضاه.

حتى أنهم كانوا يفتحون مدينة في فارس اسمها نهاوند وكانت آخر معاقل الملوك

في فارس وكان حولها حصن كبير وظلوا شهرين لا يستطيعون فتح المدينة بسبب هذا الحصن، وفي يوم من الأيام كان أحد صحابة رسول الله مشغول البال لا يريد أن يأخذ نوط الشجاعة، ولا قلادة النيل!! ولكن يريد أن يأخذ نوط الشجاعة من ربِّ العالمين والوسام من سيد الأولين والآخرين.

فقام ولبس ملابسه، وذهب لجماعة من الجنود لا يعرفونه، وقال لهم: سترفعونني وترمونني من فوق السور وسط الأعداء بجوار الباب ....، سألوه من أنت ؟ .. قال لهم: ليس لكم شأن !!

فحملوه ورموه من فوق السور في وسط الأعداء وانهالت عليه السيوف، فأخذ يضرب بالسيف من حوله !! حتى قتلهم بإعانة من الله !! .. ثم فتح فتحة في الباب !! ونادى على المسلمين !! فدخلوا من الباب، وفتح الله هذا الحصن وهذا البلد ببركة هذا الرجل، فأعلن القائد العام عن مكافأة عظيمة لهذا الرجل، وكان لا يعرفه.فلم يظهر الرجل ولم يبلغ عنه أحد !!! وظل القائد على هذا الحال ثلاثة أيام.

وفي النهاية ذهب له الرجل قائلاً له أنا أعرف الرجل الذي فتح الحصن، وهو يريد أن يقابلك، ولكن له ثلاثة شروط ،قال: وما شروطه؟ قال: الشرط الأول أن لا تعرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشخصه، والشرط الثاني: أن لا تعطيه أجراً لأنه يريد أجره من الله ﷻ، الشرط الثالث: أن لا تشهره بين الجيش، فقال القائد: موافق على كل هذه الشروط، من هذا الرجل؟ .. فقال: أنا !. ... وتركه وخرج.

فهذا هو العهد ، وهؤلاء هم أهل المجاهدة من هؤلاء الرجال ؟ هم[الأحزاب]:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ‌ۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ‌ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً (٢٣) ﴾

رجالٌ كان همهم كله إرضاء الواحد المتعال ﷻ لأنهم عرفوا من البداية أن العقد مع الله، العقد الذي يخصنا كلنا ما هو؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ ﴾ [١١١ التوبة] من الذي اشترى؟....الله ،..... ممن ؟ ﴿ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الذين كانوا في عصر

النبي فقط أم كلهم..؟ المؤمنون كلهم إلى يوم القيامة،.وماذا اشترى منهم؟ ﴿ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ وبم يعني الله " بأنفسهم " ؟

يعني حركاتهم .... وسكناتهم ... وأعمالهم .... كلها لله، وما لهم ... يتصرفون فيه على وفق كتاب الله وكما يأمر شرع الله، طلباً لمرضاة الله.ولا يتصرف فيه قائلاً: مالي وأنا حر فيه.

لو كان يخصك ؟ لماذا يحاسبك عليه الله إذاً ؟

ولكنه يقول لك: أنت تعمل كل شيء بالإخلاص لله فأنت تطلب مالك إبتداءاً كما أمر الله، ثم تنفقه كما وضح شرع الله .. ونيتك من قبل ومن بعد طلباً لمرضاة الله وتشكر الله عليه، وتؤدى حقه تعالى فيه، ولا تنسى أبداً أنك إنما مستخلف فيه، وأن مالكه على الحقيقة هو الله جلَّ فى علاه فهذا هو الإخلاص لله ..

تريد أن ترضي زوجتك وأولادك، فتلك مصيبة المصائب [٨٨-٨٩ الشعراء].:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

هل سأقول يا أولادي لقد اشتريت لكم عمارتين، ووضعت لكم في البنك الرصيد الفلاني، هل سينفعوني هناك؟ هل هناك منهم من يعطيني ويتبرع بحسنة لو احتجتها؟ أبداً لن يحدث :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾(٢٤-٢٧ عبس)

وهو من سيقول لله في هذا اليوم أن خذ لي بحقي من هذا الرجل! فيأخذ من حسناتك فالعيال (أى الأبناء والبنات) سوس الحسنات كما قال الصالحون، وكما أخبرنا الحبيب ﷺ فى الحديث:

{ إنّ أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي

الله تعالى ويقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم، فيقتص لهم منه } [٢٤]

إذن الإنسان الكيس الفطن الذي يتعامل مع الرحمن لا مع خلقه فيخلص العمل لله ، وهذا هو العقد:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ وما الثمن؟ ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ وكيف يسددون المال والنفس؟ ﴿ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾

وهل هذا العقد مسجل؟ نعم! ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ وأين مكاتب التوثيق؟ .. ﴿ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة التوبة]

﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الفتح].

هذا العهد وهذا العقد كلنا أعلناه عندما قلنا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهذا معناه:أنني .. ونفسي .. ومالي .. ووقتي .. وأنفاسي .. وعمري .. وحياتي كلها لله، بمعنى أن أمشي فيها كلها على شرع الله ونيتي فيها كلها طلباً لمرضاة الله جلّ في علاه...وهذا هو عقد الصالحين.

والذي ينسى هذه الحكاية ؟؟؟ يضيع !! ويتوه في هذه الحياة الدنيا، ويعرض نفسه للحساب !!! .. فيقول له الله تعالى:لقد عاهدتنا على كذا وكذا ولم تنفذ، ..

---

[٢٤] إحياء علوم الدين، وتفسير حقى و تنوير الأذهان لإسماعيل االبروسوى

وياله من حساب !! بعده ما بعده !!

ولذلك فإن الإمام عبد الوهاب الشعراني ﷺ وأرضاه وكان من أئمة الصالحين عمل كتابا عظيما تفصيلا لهذا العهد سمَّاه "العهود المحمدية "، فالعهد مجمل، فكتب مذكرة تفصيلية لأنه محامي قانوني في مكتب الحضرة المحمدية.

فالرجل الصالح ﷺ كتب مذكرة تفصيلية لهذا العهد مع الله، وعندما تقرأه تجده يقول :أخذ علينا العهد من الله ومن رسول الله بأن نصدق في أقوالنا وألا نكذب حتى في لهونا ومزاحنا، ويأتي بالنصوص التي تؤيد هذا الكلام، أخذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن نكون كذا كذا ويسرد كل البنود التي يجب أن تنفذها، فيجب أن تعرف ما البنود التي وراء هذا العهد ؟

وهي الشريعة المحمدية، الأخلاق القرآنية، والمعاملات الإسلامية، والأحوال المحمدية، والتي نحن مأمورون بأن ننفذها في حياتنا الدنيوية طلباً لمرضاة الله جلَّ في علاه، وهذا هو الفارق بين عباد الله الذين يعملون لله وبين الذين وحلوا في هذه الدنيا، ونسوا ما عاهدوا الله عليه، فأصبحوا يعملون لأنفسهم أو لخلق الله، أو يراءون أو ينافقون أو يخادعون أو يغدرون !!!

ولم كل هذا ؟!!!! لأنه نسي أنه يتعامل مع الله، ولذلك ربنا ذكَّرهم، قال لهم : إنك إن ظننت أنك تخدع فلاناً هذا في البيع، أو في الشراء، أو في الكلام، فانك لا تخدعه .... لأنك متعاقد معي أنا :

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٩ البقرة].

بدأ بالله أولاً: ... إذاً من يخدع مؤمناً فإنه يخدع الله، وكذلك من يخون أو يكذب أو ينافق.

فخل الخلق خلفك ثم عامل ... بصدق ذات مولاك العلية

افرض إنهم خائنين، ليس لي شأن بهم... لأنني أوفي بالعهد الذي أخذته على

نفسي لله ﷻ، لأنني أتعامل مع الله وأخلص العمل لوجه الله وليس لخلق الله، فكل شأن للمؤمن مع غير الله يعاتب فيها من الله لأنه أخذ العهد من الله أن يكون صورة محبوبة بين خلق الله، ممثلة لحبيب الله ومصطفاه، يمشي بشرع الله مزيناً في كل أحواله وسلوكه بزينة:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح].

الذي يراه يتذكر أحوال حضرة النبي: بهديه وأخلاقه وسمته ومعاملاته فيشد الخلق إلى الله، لكننا حالياً نقول أننا مع الله فقط في الجامع، وعند خروجنا من الجامع نضع على وجوهنا: صورة إبليس..!، أو يضع صورة أسد..! أو صورة كبش..! أو قرد..! أو غيره...!

فهل هذا من يخلص العمل لله أو يعمل لوجه الله ، ... فبدون إخلاص العمل لله لا ينفع للمريد جهاد ولن يبلغ له مراد!.ولوقضى فى ذلك سنينا بعاد ...

ولأن موضوع إخلاص العمل لله من أهم أسس جهاد النفس... سأذيع عليكم سراً من أسرار الرجال، التي بسببها يكرمهم الله بهذا العطاء وهذا النوال ...

فمن أراد أن يسلك على دربهم ويهتدى بأنوار جهادهم لأنفسهم وأن ينال ما نالوا فليعلم تمام العلم ... أنهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه لأنهم جعلوا أعمالهم وجهادهم بأبدانهم ونفوسهم وأموالهم وكلّهم .. لله!.. ولم يرتضوا ثمناً له في هذه الحياة، ولو كانت كلُّ كنوز الدنيا تأسياً بأنبياء الله ورسل الله.

السر هو إخلاص العمل، كل العمل ... لله .. ولا شيء سواه . (٢٩هود).

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾

لا يريدون من أحد أجراً لأنهم علّموه أو أرشدوه ووجّهوه، أو أبانوا له غامضاً من غوامض العلم أو أفاضوا عليه شيء من غيوب الحكمة ، ولا حتى لكي يعظّمهم ويوقّرهم مقابل ذلك ، فلا يرضون بذلك ولا تتغيَّر أفئدتهم ولا تتعكّر قلوبهم

إذا وجدوا إعراضاً أو صداً أو غبنا ، ممن أكرمه الله ﷻ على أيديهم، لأنهم يُعلِّمون ويعملون لله ، ولا يرجون الأجر من سواه ، طرفة عين أو أقل ..!!

لكن النفوس الصغيرة إذا علَّم الواحد منهم ثلاثة أو أربعة، وواحد منهم مرَّ عليه ، ولم يعظِّمه ؟...يقول لماذا فعل فلان كذا ؟ لقد علَّمته كذا وكذا ، ويعمل نشرة وينشرها في الصحف المحلية والعالمية!.. فهل أنت منتظر منه أجرا...؟وهل معه أجر لكي يعطيه لك!!..إذا انتظرت منه أجرا : تكون غافلاً لأنه أي قدر من كنوز الدنيا والآخرة لا يساوي كلمة هدى تدل على خير وتمنع من ردى .؟

هل مليون دولار !..يساوي ذلك ؟.لا يساوي والله!!

إذا كانت التسبيحة الواحدة في صحيفة مؤمن كما ورد فى الصحاح أعظم وأكبر عند الله من كل كنوز الدنيا الظاهرة والباطنة .فما بالكم بكلمة الهدى! كم يكون ثمنها..؟ فهم لا يريدون إلا من الله ولا يرجون من أحد سواه ، فتعاملهم مع الله فهم يعلِّمون الخلق لله .

إن الذي يقول كيف علَّمت فلاناً وتركني وذهب لفلان ؟ ..نقول له وهل كنت تعلِّمه لكي يمشي وراءك ؟وماذا تعمل به ؟هب أن الناس جميعاً مشوا خلفك.! هل يرفعوك أو هل ينفعوك ؟ بل قد يضلوك !ويشغلوك ! ماذا تريد إذاً ؟

الله ... ولا شيء سواه، قال تعالى فى (٢٨ الكهف):

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾

ياإخوانى إذا كانت مشاكل الناس في الدنيا سببها الدنيا التي بينهم ! .فمعظم مشاكل الناس المنتسبين لطريق الله! سببها أن كل واحد منهم يعاير أخاه .. أنا الذي أدخلتك الطريق وعلَّمتك!.فهو يريده أن يظل تابعاً له باستمرار! يا أخي ماذا يمنع التابع أن يسبق المتبوع، ويصير هو المتبوع! لا حرج على فضل الله!

وبعض إخواننا أحياناً يسأل؟ ويقول عن نفسه إنني منذ خمسة عشر عاماً وأنا أنزل هذه البلدة أو تلك المدينة ، ولا أجد أي ثمرة لدعوة الله!..،..ولا أحد يريد أن

يمشي معي فى طريق الله؟ .. في هذه الحالة أقول له أنك تــدعو النــاس لنفــسك أم تدعوهم لربك!!..فلو أنك تدعوهم لله ؟؟..ففيم تريدهم إذاً ؟

إنك تقول لهم .هذا هو دين الله، وهذا هو المسجد، وهــذه هــي الطاعــات والقربــات والقرآن، فسيروا عليها وتوكلوا علــى الله..!!... ولكنــك تريــد أن تدعوهم لنفسك لكي يعظّموك ويكبِّروك ويشيِّخوك وهذه مــصيبة مــن المــصائب الكبرى والتي تجعل الإنسان ليس له ثمرة في الــدنيا ولا يــوم القــرار!.... ولكــن جرِّب.واجعل دعوتك لله !.، وادعوا الخلق لله .. سيأتي الناس .كما قال ربُّنــا :

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ ﴾ (النصر)

وذلك لأنه يدعوهم لله، أما الذي يريد أن يــدعوهم لنفــسه ، ليعظّمــوه ، ويكبِّروه فحكمة الله ﷻ وحرص الله عليه انهم لا يجتمعون عليه، لأنهم لو اجتمعــوا عليه سيضيِّعوه ، ويريد منه الله في هذه الحالة أن يراجع نفسه ويفكِّر في أمر نفسه ثم يعرف خطئه ويصلح من أمــر نفسه، لكن لو اجتمعوا عليه، ســيعتقد أنــه علــى شيء؟، وهو ليس معه شيء.!

لكن الرجال الذين خصُّوا بالعطاء ، والنوال من يأتي إليهم، يقولون له لــيس لدينا وقت فنحن مشغولون بالله ولكن تعالَ معنا نريك الطريق !!

ماذا تعمل بالخلق ؟ .. وهل القلب يتسع .للخلق وللحق!. لا! إما هذا!.وإما ذاك! .. والقلب المشغول بالحق ليس به جزءٌ يتسع للخلق !

ولذلك الرجل الصالح المشغول قلبه بالحق! عندما يأتيه أحد يــشتكي لــه،. فيقول له ليس لدي وقت، احمل عني يا رب! ، فيحدث المراد ، لأنه يرفع الأمر لربِّ العباد .. أما الآخر المشغول بحظ نفسه، فيقول له لماذا لم تأتني؟ولو أتيت! لــدعوت لك !فيذهب إليه ويدعو له، ولا يستجاب! لأنه يدعو له بنفسه !

لكن الأول المجاهد لحظ نفسه والمولى وجهه شطر ربه .. يرفع الأمر لمولاه لأن

كل عمله لله، فمثل هذا يكون الله في هواه لأنه جعل نفسه وكلّه لله جل فى علاه.

فما بالكم بمن يطلب ثمن المحاضرة ؟ ويتعاقد مع مضيفه و يطمئن أولا كيف سيستقبلونه وماذا أعدوا له؟ لأن هذا هو هدفه ومناه! فيدخل في ديوان أهل الدنيا مادام مقصوده هو الأجر وليس العمل لله، بدليل أنه إذا لم يقبض لا يفعل!، وإذا لم يكرم لايعود إليهم ثانية! حتى ولو دعوه أو إحتاجوا إليه!.

ولكن أهل الله والسائرون الصادقون فى طريق الجهاد الشاق .. يدربون أنفسهم دائما أن مقصودهم وجه الله ورائدهم الإخلاص لحضرته على الدوام !

ولذلك فإن الإمام مالك ﷺ مكث مدَّة طويلة يتوقف في هل تجوز صلاة الإمام الذي يأخذ أجرة ؟ فقال ﷺ عندما سألوا إن كان يظن أن أجره مقابل صلاته، بطلت صلاته، فامتنع الأئمة عن أخذ الأجر!. ماذا نفعل إذاً؟ قال : تكون الصلاة لله ويعتبر الأجر هديَّة أو عطيَّة من عباد الله، ولكن لا يتمناها بنفسه ولا يطلبها ولا حتى بحاله! ولكن لكي تصح الصلاة يجب أن تكون لله ﷻ.

وهكذا الأمر في أي شأن من شئون الدين؛ الإخلاص لله رائده، ووجه الله قبلته، وإلا فلن يصح له جهاد نَفْسٍ ولا لنَفَس! ولن يتحرك قيد أنملة! لا ولن يبرح مكانه! وربما ظنَّ بوهمه وخياله .. أنه قطع المفازات! وهو حيث هو مع القاعدين!!!

الأساس الرابع: المرشد العالم العامل

ورابعها .. لابد له من المرشد:

وهو الذي يأخذ بيديه إلى الطريق القويم والصراط المستقيم وينبغي له أن يكون ملازماً للأدب معه في هذا المقام، الأدب الذي كان عليه الصحابة الكرام مع المصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فسيدنا موسي.. مع أن الله اختاره لنبوته، و أنزل عليه رسالته، إلا أن الله ﷻ

لما أراد له الكمال و بلوغ مقامات كمل الرجال، ووجد أن النفس مازالت منه علي بال، أمره أن يذهب إلي رجل من الصالحين ليتكمل علي يديه..

واختصر لكم القصة إختصاراً:

إن الله ﷻ بعد أن منَّ على موسي وقومه وخرجوا من مصر، وأهلك فرعون وجنوده، فرحوا بفضل الله وعقدوا إجتماعاً ليشكروا الله، فأخذ سيدنا موسى عليه السلام يعدِّد نعم الله ﷻ عليه وعلى قومه وألهمه الله منها بالكثير، حتى كانت أعينهم لا تكفُّ عن الدمع، ولما إنتهي موسى عليه السلام من حديثه سألوه : ياموسى! هل هناك من هو أعلم منك ؟ قال: لا! .. فعاتبه الله ﷻ فى الحال، لأن الله ﷻ يحب التطامن والتواضع من العبيد للحميد المجيد ﷻ، وقد قال لنا أجمعين فى القرآن:

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف)

فإياك أن تظن فى نفس من الأنفاس! ومهما بلغت فى الدراسة!أو حصلت من العلوم! أو كان لك من المؤلفات أو المستمعين والمستمعات !! إياك أن تستكبر أو تستعظم أن تحتاج إلى المرشد فى طريق القوم، فحاجتك للشيخ المربى والمرشد العالم العامل ! الذى يأخذ بيدك متحققة لقول الله تعالى لحبيبه ﷺ الذى علَّمه مولاه ما لم يعلِّم أحداً من العالمين سواه:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه)

فمع أن الله قد علَّمه علوم الأولين والآخرين والمعاصرين، ولم يترك علماً كان أو كائنٌ أو سيكون! إلا وأفاء عليه منه علماً![٢٥]، ومع ذلك يأمره ربه أن يطلب المزيد من العلم ولا يتوقف أبداً عن طلب ذلك!!

فلا نهاية لطلب العلم، ولا انتهاء لتحصيل العلم من المهد إلى اللحد!

فأوحى الله ﷻ إلى موسى وعاتبه أن كيف قلت ذلك وهناك على الأرض من هو أعلم منك! فعجب وقال من هو يا رب دلني عليه؟، قال:

---

[٢٥] قال سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه فى ذلك :"لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلاذَكَرَلَنَا مِنْهُ عِلْمًا ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، مسند الإمام أحمد.

﴿ عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف)

اذهب إلى الخضر!، فسأل أين يا رب ؟ فقال: تجده عند مجمع البحرين، فخذ معك فتاك ومِكْتَل (قُفَّة) فيه سمكة مشويَّة وطعام، فإذا قفزت السمكة للماء!، فهـذا موضعه، فجهز سيدنا موسى عليه السلام ما طلبه منه الملك العلام، و سافر ومعـه فتـاه، والمكتل وبه السمكة والطعام، وأمره أن يراقب الحوت ويعلمه إذا تحـرك،. ونـذر موسى لله، أن يمشى إلي العبد ولو طال السفر مئات السنين ! ليتعلم منه (الكهف):

﴿ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ ﴾

فعلى طالب العلم ألا يكلَّ!! ولا يملَّ!! بـل عليه، مهما علَّمه الله، أن يطلب المزيـد من العلم مـن الحميد المجيد ﷻ، سر قـوله ﷺ :

{ مَنْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ: طَالِبِ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا } [26]

مشى موسى عليه السلام وفتاه فلما وصلا إلى الصخرة التى قدر له أن يلتقي عندها بالعبد، كانا قد تعبا من المشي، فألقى عليهما النوم فناما، وجاء العبد وتوضأ فأصاب الماء الحوت فاحتيا بإذن الله ومشى فى البحر سرباً، ثم ذهب العبد، فاستيقظ موسـى وفتاه، وأكملا السفر، ثم شعرا بالتعب والجوع، فأرادا أن يأكلا، فقال موسـى عليه السلام لفتاه:﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الكهف)،

ففتش الغـلام فى المكتل فلم يجد الحوت! ..فتذكر ..وعند ذلك رجعا علـى آثارهما، وعندما وصلا إلى الصخرة وجدا الخضر عليه السلام نائماً، فقال الخـضر: أنـت موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم ومن أدراك بي ؟ قال: الذى أرسلك إلي !:

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ

[26] عن أنسٍ ، البزار عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه (جامع الأحاديث والمراسيل

رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾(الكهف)

وعند ذلك جاء عصفور وشرب من البحر، فقال الخضر عليه السلام:

{ يَا مُوسَى أَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ أَنَا، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَنِيهُ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَمَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلا كَمَا أَخَذَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْيَمِّ ..!!.}[٢٧]

أي القطرة التي أخذها العصفور من البحر وكذلك كم يكون مع البشر جميعاً من أولهم إلى آخرهم مما أفاض الله عليهم من علومه وأسراره وإلهاماته؟ كل ما مع الخلق من بدء الدنيا إلى منتهاها بجانب علم الله لا يساوى ولا حتى ذرة! لأن علم الله عز وجل لا يعدُّ ولا يحدُّ! لأنه عز وجل هو العليم الحكيم .

فطلب موسى وهو نبى الله وكليمه ومن أولى العزم من الرسل، طلب من العبد الصالح أن يتبعه ليعلمه من الرشد الذى أفاضه الله عليه، فأفهمه العبد أنها أحوال عالية! .. ليس من السهل عليه وهو عالم الشريعة الصبر عليها وليس عنده خبر من سرها، ولكن موسى عليه السلام وعده بالصبر، فاشترط عليه العبد ألا يسأله عن شيىء حتى يكون العبد هو من يكلمه فيه أولاً ...

آداب وتعاليم بين المعلم والمتعلم ...

بين المرشد و المسترشد ... بين الشيخ المربى وتلميذه ...

أنَّ الله عز وجل يعلمنا أنَّ عالم الشريعة لابد له أن يتعلم من عالم الحقيقة، وأنَّ عالم الحقيقة لابد له أن يستمد من عالم الشريعة.

فالعالم الحق هو الذى يعمل بشرع الله فى ظاهره، ويستمد من أنوار الله علوماً وحقائق فى باطنه حتى يكون كما قال الله:

---

[٢٧] تفسير روح البيان وتنوير الأذهان لإسماعيل البروسوى

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٢٦٩ البقرة)

ومشى موسى عليه السلام مع العبد، وبدأت رحلة النبى المتعلم والعبد المعلم، والتى سطرها الله لنا خالدة فى كتابه الكريم لتكون هدى ونبراسا ...

فمن بعد هذا البيان ياإخوانى يستكبر أو يستنكف مهما كان علمه أو عمله .. أن يبحث عن الشيخ المربى والمرشد المعلم ؟؟؟

وأزيدكم سادتى القراء وإخوانى الأفاضل بياناً، فأقول إن الحاجة للشيخ المربى فى طريق القوم والمرشد لسلوك سبيل جهاد النفس وكشف مكنونها هى حاجة ضرورية ملحة لأنه لا يوجد أحد يمكنه أن يجاهد نفسه بمفرده .. لا يوجد!!

فلا بد من وجود المرشد أو الشيخ أو المعلم أو المربى، ودعونا نقول بلغة وتعبيرات العصر:.. لا بد من الطبيب !!

طبيب مجرب خبير وبالطب بصير متخرج من كلية:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [٢٩الفتح]

ومعه أشعة مكتوب عليها :

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [١٠٨يوسف].

يكشف عليّ بالأشعة التي معه، ويبين لي عيوبي ويعطينى الدواء من صيدلية القرآن وأجزخانة النبى العدنان، فهما صيدليتا دواء لكنى لا أعرف ما بى من داء؟.ولا روشتة الدواء؟

فلا بد من ناصح مجرب مأذون خبير أشار إليه العلى القدير في قوله:

﴿ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [٥٩الفرقان].

فإنه يعرف ما بي، ويعطيني الدواء المناسب لي، مثل ما كان رسول الله ﷺ يفعل مع أصحابه ... وخذا على سبيل المثال ...

فمن شخص يقول له: يارسول الله عظني! فيقول له: لا تغضب!

وآخر ينصحه ألاتكذب، وثالث يضع يده على صدره ويدعو له..

ورابع يقول له:ارفع صوتك بالقرآن قليلاً، وخامس يأمره أن اخفض صوتك قليلاً ، وسادس يسأله مرافقته فى الجنة فيدعو له ويبشره بذلك!

وسابع يقول له أن أكثر من السجود فهذا تزكية نفسه ..

وثامن يأمره بإطابة مطعمه، وتاسع يأمره بالصدق ..

وواحد يسأله أن يخصص له الورد من القرآن فيقول لا تتمه فى أقل من ثلاث، وآخر يأذن له أن يقرأه فى سبع .. وغيره ينصحه ألا يكن همُّه أعداد الآيات !!

وواحد يقبل منه صدقته بماله كله !! لأنه يراه أهلٌ لذلك، وآخر يقول له ﷺ لا! بل الثلث! والثلث كثير !!

وفقير يطلب الصدقة فيأمر الناس أن يتصدقوا عليه!، وغيره يعطيه ﷺ الصدقة ويأمره أن يشترى منها قادوما ويحتطب! ثم يعود بعد أسبوع ليتابعه! ماذا فعل؟

وواحد يطلب الإستزادة من الصيام فيقول له: يكفيك صيام ثلاثة من كل شهر، وآخر يأذن له بصيام يوم ويوم .....

هل إكتفيتم من الأمثلة...!!

والله لوجلسنا نعدد الوصفات النبوية والروشتات المحمدية المختلفة من واحد لآخر .. وهى متنوعة !! ومتعددة !! وكثير منها فى شئون ظاهرها متشابهةٌ، و لكن باطنها مختلف!! لانه ﷺ يعطى كل طالب .. تذكرة الدواء المناسبة لقواه الروحانية وأعضاءه الجسمانية .. ما استطعنا أن نأتى بها كلها!!!

ولذا نؤكد ونقول إياكم من قطاع الطرق !! لابد أن يكون المرشد الطبيب الخبير المجرب معه آشعة البصيرة! ولديه إذنٌ من الذات المنيرة ﷺ! فهو لا يوصل بنفسه، ولكن بفضل الله يوصل على الله، وبتوفيق الله يرفع القوم إلى حضرة مولاه!..

لأنه أخذ الإذن ومعاليم الإشارة من مولاه ﷻ :

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾(الأحزاب)

ولذلك نقول أن الطبيب إذا لم يكن معه إذن من الحبيب ﷺ! فيجوز أن يعطيني مضاد حيوي ألف وحدة، وأنا لا أتحمل إلا مائتين وحدة فقط!، إذاً .. لا بد أن يعطيني جرعة الدواء التي تناسبني، وإلا فإنه يعرِّضني للتلف أو الموت! وهذا ليس هو الطبيب الروحاني الذي بواسطته أستطيع أن أجاهد نفسي.

فهو طبيب نوراني وحكيم روحاني، علّمه طبيب سابق .!.. فلتعلم يامن تستكبر أن تعرف مسالك الطريق على يد المرشد الخبير أن هذا المرشد الخبير ماعرف الطريق وسلكه إلا على يد مرشد سابق، وخبير قبله حاذق .. وهكذا واحدٌ وراء الآخر .. وصولاً إلى الخبير الأعظم ﷺ ...!!!

هل ينفع أن يتعلم الإنسان الطبَّ من الكتب ؟؟ من غير أن يدخل مستشفى عملّي ؟ أو طبيب يعلمه؟ .. طبعاً لازم يطبِّق هذا العلم في المستشفى، ويرى الأطباء ويعلّموه ويوجِّهوه، هذه العملية تعملها كذا أما الأخرى فكذا ، وكذا ، وهكذا في كل أمر!!.، وإذا كان هذا في طبِّ الأجسام !. فما بالكم بطبِّ القلوب، وإذا كان طبُّ الأبدان لا بد له من الممارسة والخبرة ، فما يريده طبُّ القلوب أكثر وأكبر ، وكما قال الرجل العارف ابن البنا السرقسطي ﷺ:

إنما القوم مسافرون ... لحضرة الله وظاعنون

فاحتاجوا فيه إلى دليل ... عالم بالسير وبالمقيل

قد سلك الطريق ثم عاد ... لينبأ القوم بما استفاد

فلابد لى من المرشد العالم العامل المجرب الخبير المأذون والطبيب الحاذق.

فإذا ذهبت للمرشد العالم العامل... عرفنى وعلمنى .. وأخذ بيدى ..

نفسك هى الطريق إلى الله

وأشار إلى الطريق الذى على أن اقطعه إلى الله تحت إرشاده وتوجيهه ...

أتعلمون ما الطريق إلى الله الذى يجب أن تقطعه؟

أتعلمون أين هو هذا الطريق الذي يوصل إلى الله ﷻ.؟

هذا الطريق يا إخوانى ويا أحبابى ويا أيها القراء والقارئات الكرام: هو طريق فريد لكل واحد منا ولا يتشابه طريقان على التمام !!

لأنه طريق معنوى !! أتعرفون أين يقع ؟؟؟ يقع بداخلك أنت !! ... يوجد بداخلك ... أنت ... ألا وهو نفسك التى بين جنبيك! فالطريق هو منك إلى الله !! فمحطة إبتداء السفر هى أنت، والطريق هو نفسك، و الوصول يكون لله .. فأنت تسافر من نفسك، على يد المرشد الخبير المجرب ... لكي تصل إلى ربك ﷻ ....

فالنفس التى هى كلها عوالم معنوية .. و التى هى الطريق إلى الله الذى يجب أن تقطعه .... إذاً فهو طريق معنوي .. والوصول إلى الله ﷻ وصول معنوي !! وجمال الله ﷻ والقرب من حضرته، جمال وقرب معنوي.

فالدليل فى هذا السفر الشاق والمرشد الخبير بوعورات النفس وعقبات هذا الطريق الوعر قد سللك الطريق ثم عاد على يد عبد مؤهل من العباد فأهله الله لتحقيق المراد وأذن له بتقريب البعاد، وجعله طبيباً للقلوب وللأرواح وأعطاه مفتاح الصلاح ، وقال له اذهب لهؤلاء، وعرِّفهم الطريق فأنت دليلهم بنا علينا ، وأنت الذي توصلُ بنا إلينا..!!..

فيا سعادة من عرف المرشد الخبير والدليل النبيل ...

ودخل عليه بتسليم وصدق، وطلب السبيل ....

ووضع بين يديه بانكسار قلبه العليل ...

عندها فقط ... ووقتها فقط ..

تبدأ المسير ...

الفصل الثالث

تزكيةُ النَّفس

فى صحبة المرشد والمعلم

العمل وإحكام أساس البناء

التوبة النصوح

علم تزكية النفس

أولاً: ماذا أجاهد ؟

الفرق بين خواطر النفس ووساوس الشيطان

ثانياً: كيف أزكى أو أجاهد نفسى؟

الوسائل المعينة على تزكية أو جهاد النفس

أولاً: الإقلال من الطعام

ثانياً: الإقلال من الكلام

ثالثاً: الإقلال من المنام

رابعاً: الإقلال من مـخالطة الأنام

خامساً: ذكر الله والتفكر على الدوام

ذكر الله بتلاوة القرآن الكريم

ذكر الله بالإستغفار والمداومة على الأوراد والأذكار

بسم الله، أذكار الصباح والمساء

سرُ ماشاء الله لاقوة إلا بالله

ذكر لا إله إلا الله

الصلاة على رسول الله ﷺ

الغاية من تزكية أوجهاد النفس ؟

أولاً: التخلق بإخلاق رسول الله ﷺ

ثانياً: لتصحيح الوجهة وشحذ الهمة

ثالثاً: أن يصير حاكما لمملكة نفسه

لا عبداً في بلاطها

رابعاً: للرجوع للأصل والوطن الأول

خامساً: ليبلغ مراتب القرب

سادساً: للتخلق بأخلاق الله

سابعاً: لينال الفتح النورانى

الفصل الثالث

تزكيةُ النَّفس

فى صحبة المرشد والمعلم

فإذا أتيت المرشد الربانى وتحقق بصدقك فى طلب طريق القوم، وبرغبتك الصادقة فى جهاد نفسك لتطهر وترتقى ... بدأ معك !!

والطريق ياإخوانى طويل .. ونكتفى منه بما يناسب هذا المقام من الحديث عن النفس وجهادها ... فقبل أن يقبل منك أن تتبعه أو تصاحبه ليعلمك أو ليرشدك ..

العمل وإحكام أساس البناء

يتأكد أولا أنك لك حرفة تنفق منها على نفسك وعلى من تعول.

فإن لم يكن مهنة وتريد أن تصحبهم للتكسب أو الإنتفاع أو التنطع !! .. ردوك لتعمل؛ ثم تأتيهم لتتعلم عزيز النفس!

فهذا دأبهم على الدوام .. وعلى مر الأيام

ألم تعرف أن شهرة سادتهم وكبرائهم كانت الورَّاق، والزجَّاج، و السمَّاك، والصيَّاد، والحدَّاد، والخيَّاط، والدبَّاغ.. .. كانوا يشتهرون بحرفهم لأن ذاك كان علمهم الأول الذى يرفعون لسنا عالة على أحد ولا نقبل البطالة و لا البطالين بيننا!

وهذه الأولى، ثم تأتى الثانية والثالثة .. فقبل أن يعلمك أو يدخلك على جهاد النفس ، فلابد أن يتأكد أنك أحكمت الأساس الذى يصح منه بدء المسير والذى هو كما أسلفنا مبنى على المطعم الحلال، و العلم الشرعى اللازم، وإخلاص العمل لله.

فإن وجد المرشد نقص أو خلل أمرك بإكماله وبين لك سبيل إتمامه،لأنه

لايصح سلوك والمطعم فيه شبهة أو العلم الشرعى فيه فجوة أو نية العلم والعمل فيها لغير الله وجهة!

فكل هذه عوائق قاطعة لايمكن معها سلوك ناجح ولا إرشاد فالح ، ولابد من معالجة الخلل قبل البدء بالعمل الذى يوصل للأمل!

التوبة النصوح

فإذا تحقق منك المرشد بهذه الثلاث، أخذ بيديك لتتوب إلى الله التوبة النصوح لأنه بدونها لا يصح وقوف بباب الله :

وأهم شروط التوبة النصوح هى أن يقلع عن الذنب، ويشعر بالندم والخجل من الذنب والعيب، ويعزم على ألا يعود إليه أبداً!.

هذا إن كان فى حق ربه، أما إن كان الذنب والتقصير فى حق عبد من عباد الله فقد وجب عليه أن يرد المظالم لأهلها ووجب عليه أن يبذل فى سبيل ذلك كل المجهود لإرجاع الحقوق السليبة أو المغتصبة إلى أصحابها، فإن كان أصحابها قد فارقوا الدنيا وجب عليه إعادتها إلى من خلفهم، لأنه من ظلم عبداً! أى عبد! ثم تاب إلى الله سالكاً كل أبواب التوبة ..لكن دون أن يرد لهذا العبد حقه!، هل بذلك قد تاب وأناب؟ كلا !إذاً لا بد أن يتوب، ويصبح بعد ذلك عبداً منيب:

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ (٥٤الزمر)

متى تتحقق هذه الإنابة ؟ ..بعد كمال التوبة ! وهذا الكمال له علامات منها أن يشعر العبد بزهد فى قلبه نحو كل الشهوات التي ذكرها الله فى (١٤ آل عمران):

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِ ﴾

وما دام فى القلب شعبةٌ نحو واحدة من هؤلاء:

فإن التوبة النصوح لم يتقبلها التواب ﷻ بعد! وتحتاج إلى ملحق يلحقه العبد!! ويقوم فيه خالصاً مخلصاً فى توبته لله، حتى يتقبل الله منه المتاب.

فإذا تاب التوبة النصوح، علَّمه الشيخ الولى المرشد أن التوبة شأنٌ لازمٌ له ليل نهار، وأنها تصحبه فى جميع الأحوال والمقامات والأطوار، ويحققه بأنه إن كان رسول الله ﷺ الذى غفر الله له ماتقدم وماتأخر .. كان يتوب إلى الله سبعين أو مائة مرة فى اليوم والليلة ! فما باله بنفسه ... كم مرة يحتاج أن ينيب ويتوب ...

علمُ تزكية النفس

فبعد ذلك يدخله المرشد الطبيب ... الورشة العلمية و العملية .. لجهاد النفس، وفيها يعلّمه المرشد.. ثلاثة أشياء :

أولاً ماذا يجاهد؟

وثانياً كيف يجاهد ؟

وثالثاً ما الغرض من مكابدة جهاد النفس هذا.. الشاق ... والمرير؟

وذلك ليكون هدفه نصب عينيه ليهون عليه الطريق.

أولاً: ماذا أجاهد ؟

أجاهد النفوس التى هى فىَّ، وهذه قال فيها أبو العزائم ﷺ:

فطر النفوس تقودها لعناها	والله بالشرع الشريف هداها
لولا الشريعة بينت سبل الهدي	ضلَّت نفوسٌ في سحيق هواها
نفسٌ تميل إلي الحظوظ بطبعها	والقهر والإفساد كلٌّ مناها
والجسم آلاتٌ لها تسعي به	وبريدُها الحسُّ الذي أرداها

أجاهد النفس الأمارة المذكورة فى قوله ﷻ :

{ الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسِ شَدَائِدَ: مُؤْمِنٍ يَحْسُدُهُ، وَمُنَافِقٍ يُبْغِضُهُ، وَكَافِرٍ يُقَاتِلُهُ، وَنَفْسٍ تُنَازِعُهُ، وَشَيْطَانٌ يُضِلُّهُ }[٢٨].

ولأن النفس بها دسائس، ولها وساوس، ولها أحوال، تجعل الإنسان إذا إتبعها يقع في الوحل، وفي الخبال، وإليها الإشارة بقول الواحد المتعال :

﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [٥٣يوسف]

ولم يقل "وإن النفس لآمرة "...لأنه لو قال :"لآمرة"... يكون الأمر مرة واحدة، لكنه وصفها بأنها "أمَّارة " ـــ بصيغة المبالغة ـــ أي كثيرة الأمر، فلا تمل من تكرار أمر الإنسان بالسوء.

والسوء : قل فيه ما شئت: ... ما يفسد الجسد، وما يفسد القلب، وما يفسد ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما يقطع الأرحام، وما يجعل الإنسان في غفلة تامة عن الملك العلاَّم، كل هذه المعاصي، والمحن، والفتن، تُسمَي: السوء.

و يعلمه المرشد أنواع النفوس التى يجاهدها الإنسان، وقد سبق ذكرها وتفصيلها فى الفصل الأول من هذا الكتاب، وعددها سبعة نفوس.

ويعلمه المرشد أيضا كيف يفرق بين وساوس النفس ودسائس الشيطان؟ كيف يعرف أن هذا خاطر من النفس أو وسوسة من إبليس اللعين ... كيف ذلك؟

الفرق بين خواطر النفس ووساوس الشيطان

أنت أيها السالك لا ترى إبليس :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾ [٢٧الأعراف].

إبليس هو الشماعة التي نعلق عليها أخطاءنا ، قال القرآن الكريم ﴿ إِنَّ كَيۡدَ

(٢٨) أخرجه أبو بكر بن لال من حديث أنس .

ﭐلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[٧٦النساء]، وكيد النساء أشد منه!نعم، قال تعالى:﴿ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [٢٨يوسف]، فالمشكلة التي معنا، ليست إبليس وإنما كما قال ﷺ :

{ أعدى أعداؤك : نفسك التي بين جنبيك }٢٩

فكيف أعرف أن الوسوسة التي بصدري، من النفس.وليست من إبليس؟ هناك عدة أشياء :.أولها .أن إبليس يأمر بالمعصية ، أو بترك الطاعة ؛ فيُزيّن لي معصية كي أقع فيها ، أو يُقْعدني كي لا أصلي الصبح حاضراً، ويحضر لي مخارج ذكية وعلل نفسية، كي أُقنع نفسي وأطيع لوسوسته ، أما النفس فتأمرني بالشهوات!!

والفرق شاسع بين الأثنين.

فالنفس شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس...أو منكح فاحذر بها الداء الدفين

هذا هو الفرق الأول ، أما الفارق الثاني :إبليس عندما يأمرني بمعصية ، لا يلح!، لأنه يريد أن أقع في المعصية بأي كيفية، وعندما لا أفعل هذه المعصية! يُزيّن لي غيرها ، لأن أهم شئ عنده.... أن أفعل المعصية.

أما النفس : فطلباتها تلح عليّ فيها ، ولا تتركني حتى أفعل ما تأمرني به !!، فمثلا تشتهى نفسي أكل أكلة معينة؛ لا تتركني نفسي إلا إذا أكلتها ، أريد أن ألبس هذه الملابس تستمر ورائي وتلح في الطلب ، وإبليس بغير النفس لا يستطيع أن يفعل شيئا، ولذلك قال بعض الصالحين :

" من الناس من اشتغل بمجاهدة إبليس فأوقعهم ذلك في التدّليس، ومن الناس من اشتغل بمجاهدة النفس ؛ وجعل كل الدنيا والآخرة خلف ظهره، فوقاه الله ﷻ همَّ إبليس ، وما عداه ".

وأنا لا أستطيع أن أشغل نفسي بمحاربة إبليس، وإنما الفَطِن يُقْبل على الله إلى أن يقول الله تعالى في شأنه:.. هذا العبد في معيتى :

---

(٢٩) رواه العسكرى فى الأمثال عن سعيد بن أبى هلال

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [٤٢الحجر]

أي إياك أن تقترب من هؤلاء ...!!! .فهذا سيدنا عمر ، عندما كان يمر بشارع لا يستطيع إبليس أن يمر من هذا الشارع ، ومعنى ذلك أن سيدنا عمر كان يحفظ حتى أهل هذا الشارع من وسوسة الشيطان ، ولذلك قال فيه ﷺ :

{ ذاك رجل يفرق منه الشيطان }٣٠

كيف أزكِّي أو أجاهد النفس؟

ذكر الله لنا في قرآنه، وبيَّن النبي ﷺ لنا في سنته، ووضَّح الصالحون في جهادهم، الوسائل التي تعين الإنسان علي جهاد النفس حتى ينتهي من هذا الجهاد في سرعة سريعة، لأن العمر قصير، والمطلوب عظيم، والنفس تراوغ الإنسان، فإذا أمسكها في واد، ذهبت إلي وادٍ آخر، ولها دسائس تخفي حتى علي كبار العارفين، ولذلك قال مولانا أبو العزائم ﷺوأرضاه :

"لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كمل العارفين إلا مع خروج النَفَس الأخير."

فإياك أن تظن أن جهاد النفس انتهى معك، لأن نفس هذا الظن خدعةٌ من خدع النفس تخدعك بها..... وتجعلك تُقطع بالكلية، عن حضرة الله ﷻ، لكن جهادها دائم ودائب ومستمر، قال تعالى .

﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [٧٨الحج].

وحق الجهاد ما كيفيته ؟.سألوا الرجل الصالح : ماذا نفعل حتى نصل إلي الله..؟ فقال :

---

(٣٠) متفق عليه عن سعد

أيها الطالـب معني حسننا مهـرنا غالٍ لمن يطلبنا

والمهر هو:

جسـدٌ مضني وبدنٌ في عنى وعيونٌ لا تذوق طعم الوسنا

فالجسد في الجهاد لا ينام، والنفس في عناءٍ وحربٍ مستمرةٍ ،.والعيون لا تنام، جاء الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه، في شهر رمضان بعد انتهاء السهرة، وقال لإخوانه : تعالوا معي لزيارة سيدنا الحسين، فوجدوا هناك بعض المقاهي، وروادها ساهرون لا ينامون إلا بعد الفجر، فقال لهم : ....إذا كان الجماعة الذين يرضون شهوات أنفسهم ويتبعون الشيطان، لا ينامون إلا بعد مطلع الفجر..، فكيف بالذي يريد أن يرضي الرحمن عز وجل !!! ماذا يفعل !!!؟ وكيف ينام!!!

وكيف ينام معشوق لليلي وليلي تشتهي منه القيام ؟!

وفي مرة ـــ وهو رضي الله عنه في الحج ـــ ورأى بعض إخوانه وقد غلبهم النوم، فقال لهم :.. هيا بنا نطوف حول الكعبة . وكان معهم الخادم الخاص به وهو الشيخ أحمد السبكي ـــ رحمة الله عليه ـــ فقال له :

أحمد السبكي تنام وتدّعي حبنا نوم أهل القرب في الزلفي حرام

قال له هذا، ليحثه علي الجهاد، ولا ينتهي هذا الجهاد، ولا السهاد، إلا بعد فراغ القلب من البلاد، والعباد، وكل الصور التي تمنعه عن المنعم الجواد . ويحيا حياة المتقين، فينام نومة الهائمين ، وأيضا وهو مستيقظ فهو هائم، فيكون مع الله في كل حال، وهذا يكون قد انتهي أمره ..

لكن الذي خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً... فلابد له من الجهاد!!

ما الذي يعينك علي هذا الجهاد ... ؟ ... وضّح الصالحون :

أن الذي يجعل النفس تسيطر علي الإنسان، وتحركه، وتسيره، هو كثرة

اختلاطها بالخَلق، واهتمام الإنسان بمطالبها، وشهواتها كــشهوة الطعــام، وشـــهوة الشراب، وشهوة النكاح، وشهوة الملبس، وشهوة الرياش، والأثاث، وكثرة الكلام، فالنفس بطبيعتها تميل للإفساد كما سبق وأسلفنا التوضيح ...

فأول الجهاد لمن أراد القرب والوداد من رب العباد ... أن يجاهد النفوس التى فيك : "جاهد نفوسا فيك "، أي أن الجهاد بداخلك أنت . "جاهــد نفوســا فيــك بالشرع الأمين ": أي بالشرع المعتدل، بالشرع الذي يأتيك من الصالحين، ومن أئمة المتقين، ولا تمش وراء الشاذين، وتفتح الأبواب المهجورة من الــشرع، بــل خــذ الوسطية... وسر على النهج المحمدى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [١٤٣البقرة]

ولذلك قال في القصيدة الأخرى : "فكن وسطا يا طالب الإقبال ".

والمنهج الذي نسير عليه : الوسطية .

فتتكلم باختصار شديد، عن ميدان مجاهدة النفس .وكيف يجاهدها الإنسان؟ والوسائل المعينة علي هذا الجهاد ....حتى يبلغ الإنسان المراد؟

الوسائل المعينة على تزكية النفس

وللإجابة نقول أن للمجاهدة سبل ووسائل معينة على ذلك وهى التى تعــين الإنسان علي بلوغ الكمالات أو نوال الفتح ، ألا وهي بالإقلال والإكثار ...

الإقلال من أربع، والإكثار و المدوامة على واحدة:

الإقلال من الطعام، والكلام، والمنام، ومخالطة الأنام.

والإكثار أو المداومة على ذكر الله ﷻ والفكر في كل مقام.

جمع الإمام أبو العزائم ﷺوأرضاه بعض هذه الوسائل في قوله ﷺ:

جع إضعفنها واحذرن من غيها غض الجفون وحاذرن فتك الكمين

أولاً: الإقلال من الطعام

فالإنسان إذا ملأ المعدة بالطعام، فورا تتحرك النفس لدفع الإنسان إلي المعاصي والذنوب والآثام ,ولذلك فإنَّ السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقول..:

{ أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع، أن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا } ٣١

فعندما تمتلئ المعدة بالطعام يفكر الإنسان بجوارحه فى الذنوب والآثام، ولا يجد لذة ولا حلاوة طعم الطاعة، لكن إن كانت المعدة خالية من الطعام، فأنـــه لا يقـــوى على المعاصى، بل تقوى روحانيته، وتقوى طاعته لله كما يحدث معنا جميعـــا فى نهـــار رمضان ... وهذا هو الجهاد الأعظم .

وهذا الجهاد درجاتُ ودرجاتُ، ولا يزال طالب الله يجاهد ويرتقى حتى يصل فى هذا الأمر إلى العجب العجاب، وكان لبعض الصالحين فى ذلك أمور تحير العقول!! فسيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه، كان يقف أربعين يوما وليلة في غار حراء، يتعبـــد لله ﷻ .لا يأكل،ولا يشرب ولا ينام .... أربعين يوما ، وكان الإمام الجنيد ﷺ وهو سيد الطائفة، يصوم ولا يفطر إلا كل أربعين يوماً مرة !، وعلى تمرة واحدة! ولا تقل كيـــف ؟ لأنه وصل إلى ذلك بالجهاد، ومُنَّ عليه بوراثة نبوية من سر قوله ﷺ:

{ إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي } ٣٢

وأقول ثانية لا تسأل كيف!! ؟.... لأن هؤلاء داخلون في قول الله :

﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة]

وهذا الكلام في هذه الأحوال العلية إنما هو فى طور الجهاد، لكـــن في طـــور

---

٣١ سبل السلام ، وإحياء علوم الدين للغزالى.
٣٢ رواه الترمذى وابن ماجه وكذا الحاكم.

الإرشاد ...، لابد أن يأكلوا لكي يعلّموا الناس كيفية الأكل، بالطريقة السديدة، الواردة عن سيد الأنام ﷺ.

ذهب رجل للجنيد يوماً وقال أريد أن أجد الخشوع فى الصلاة ولكنى لا أجده!! فماذا أفعل ؟ قال له:

{ يا أخى أتملأ بطنك بالطعام! وتجعل بينك وبين ربك مخلاة!! ثم تريد أن تجد الخشوع فى الصلاة }

فهو يريد أن يعيده إلى الأحوال الزكية أيام رسول الله ﷺ ، متى كانوا يأكلون؟ أثلاث مرات مقدسات؟ ... لا بل كانوا يأكلون عندما يجوعون!، فإذا أكلوا لا يملأون بطونهم! ولا يشبعون! ويقومون من على الطعام وهم له مشتهون ... وهذا هو طريق القوم .

وإذا جاع الإنسان، قلت بواعث الشهوة في نفسه، فيقل نومه، ويكثر صمته، ولا يستزيد من سماع الأحاديث، ولا يتحرك هنا أو هناك .

فوجد الصالحون أن الجوع من أقوي الأسباب المعينة للإنسان علي بلوغه هذا المقام . فتنافسوا في الصيام، ....لا عداً للأيام...، ولا تكثيراً للحسنات العظام.من وراء تعديد أيام الصيام، وإنما هَدَّاً لقوي النفس الشهوانية...، حتى تقوي النفس الملكوتية..... فتسيِّرُ الجسم علي شرع الله ﷻ، وعلي نهج المصطفي ﷺ .

فالنيَة هنا اختلفت بالكلية ...

فالعابد يصوم لأخذ ثواب الصيام، لكن العارف يصوم ليعين نفسه علي كسر الشهوة، وعلي حَدِّ الرغبات الجامحة في النفس، لتعلو همته فيما عند الله ﷻ :

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [٦٠القصص].

ولذلك ركز بعضهم، وهو يجاهد في هذا المقام، على : "أن يقلل"، ولم يقولوا بترك الطعام ــ بل بالتقليل ــ لأن ترك الطعام بالكلية يجعل الإنسان يخرج عن

السوية وقد يحدث له هوسٌ عقلى ، لكن التقليل بمعني إذا كان يأكل ثلاثة أرغفة فى الوجبة، يجعلهم اثنان ونصف، وبعد ذلك رغيفان، وبعد ذلك رغيف ونصف، وبعد ذلك رغيف واحد، وهكذا حتى أن بعض الصالحين قالوا فى ذلك:

{ لأن أنقص من عشائى لقمة واحدة أحب إلى من قيام ليلة }[٣٣]

أي إذا قدرت علي نفسي، وخفضت وجبة العشاء لقمة، فهو أحسن من قيام ليلة، لأنه ربما يكون القيام شهوة للإنسان لكن عندما يقلل الطعام، فإنه بذلك يكون صاحب عزيمة، وخاصة إذا قام من الطعام، وهو يشتهيه.

وهل كان سيدنا رسول الله يحتاج إلي طعام ؟ لا،...لكنه كان يأكل ليعلّمنا كيف نأكل، ويشرب ليعلّمنا....كيف نشرب، وهو كان في مقام "أبيت عند ربي فيطعمني ويسقين" .

وغيرهم من الصالحين، وديوان الصالحين، مليء بهؤلاء الرجال الذين ملكوا نفوسهم، ولم تملكهم نفوسهم، فتصرفوا فيها بأمر الواحد المتعال ﷻ ،ولذلك قالوا:

" الرجل من ملك نفسه، وليس من ملكته نفسه " .

فكانوا يتفنَّنون في علاجها ....حتى تصل إلي الإقتداء بسيد الأنام فيما ورد عنه " أنه كان يأكل ما وجد "، ودعونى أسألكم سؤالاً أزيدكم به بياناً ... لإخوانى خبرونى بالله عليكم ... إذا جلست للطعام من الذي يأكل من أعضاءك ؟

هل هو الفم والأسنان واللسان والشفتان ؟ أم هى المعدة ؟ أم هى النفس؟

النفس هي التي تأكل، فعندما تنظر إلي الطعام وتشتهيه النفس.. فكل الأعضاء تتحرك، وتبدأ في الأكل ... ولكن عندما تنظر إلي الطعام، ولا تشتهيه..!!.. هل هناك أي عضو يكون قابلاً للتحرك.؟ كلا فلا اللعاب ينزل.، ولا الفم يفتح... لأن النفس هي التي تحرك الأعضاء.. ولذا إذا كنت مريضاً أو حزيناً أو مهموماً فإنّ

---

٣٣ تعريف الأحياء بفضل الإحياء، كتاب عوارف المعارف.

نفسك تعزف عن الطعام ولا تجد عندك ميلاً له ... فالأكل من النفس ..!

فيظل العبد يجاهد نفسه حتى يصبح الطعام عنده مثل الدواء ....يداوي به داء الجوع، كما قال الصالحون : (الطعام علاج لمرض الجوع، فلا تدخل معدتك إلا ما يسير بدنك، وما زاد عن ذلك يخزنه جسمك المعدة تكبر، والبطن يضخم ويسمن الإنسان ويمرض) .. وكلنا يعرف أن السمنة التى هى سبب كل أمراض العصر..، فلا يأكل السالك المجاهد نفسه عن شهوة...، وإنما يأكل ليسدَّ داء الجوع، لأنه منشغلٌ بالكلية بربه ﷻ ، ولسان حاله يقول :

جعنا فأطعمنا اليقين إلـهنا ... واسقِ الجميع محبَّـة المختار

فهو يريدك أن تأكل اليقين، تأكل من معارف القرآن، والعلوم الإلهية، والأسرار الربانية، وهذا سرُّ الآية القرآنية ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [٦٢الكهف]

فاالإشارة الروحية فى الغداء هنا من سيدنا موسى ليست للحوت والطعام:

وإنما هى إشارة التشوق لغذاء الروح والعلم اللدنى بلقاء العبد الصالح، غذاءٌ من الحقائق الربانية، التى تقيت النفس، وتجعلها تهيم في هذه الجمالات، ولا تمل من عشق هذه الكمالات، ويكرمها الله ﷻ بهذه الهبات، وتلك العطاءات .

فلابد يا إخواني من التقليل من الطعام والشراب!! ولا تعلو الحياة الروحانية، إلا بذلك!، ولذا لزم أن يكون للإنسان السالك المجاهد لنفسه نصيب وافر فى عبادة الصيام ..... أسمع له ﷺ بماذا أجاب أصحابه لما سأله أحدهم أن يأمره بما ينفعه:

{ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ قَالَ: عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ }[34]

فمن يريد أن يبلغ مقاما عند الله لا يكتفى بصيام شهر رمضان وحسب، بل ينبغى مثلاً أن يصوم ستة أيام من شوال، أو بصوم الاثنين والخميس كالحبيب ﷺ، أو

---

٣٤ عن أبى أُمَامَةَ الْبَاهِلِي، سننِ النسائي الصغرى ، .. وأنظروا إلى صدقهم فى الإتباع ..{ قالَ فكان أَبو أُمَامَةَ لا يُلْقى إلا صائماً هو وامرأتُهُ وخادِمُهُ، فَإذَا رُئِيَ في دارِهِ دخانٌ بالنهارِ قيل: اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ}

على الأقل يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهو الحد الأدنى، قال ﷺ :

{ صومُ شهرِ الصّبْرِ وصومُ ثلاثةِ أيّامٍ من كُلِّ شهرٍ صومُ الدّهْرِ } ٣٥

وإذا أكل؛ لا يأكل إلا عن جوع! كما قلنا عن حالهم الراقى فى الأيام الأول:

{ نَحْنُ قومٌ لا نأكلُ حتَّى نَجُوعُ وإذا أكلنَا لا نشبع }٣٦

ولذلك ليس هناك رجل صالح سمين، فشيخ الإمـــام الجنيد ﷺ كان خاله وهو السر السقطى ﷺ كان يقـــول:

شكوت لها الحبَّ قالت كذبتنى فمالى أرى منك العظام كواسيا
ولا حبَّ حتى يلصق العظم بالحشا وتسكت حتى لا تجيب مناديـــا

فيسوقون الدليل من الإنسان الذى يحبُ امرأةً ومشغولٌ بها! هل تكون لديـــه رغبة للطعام ؟ أبداً !! فما بالكم بمن يحبُّ الله تعالى ويريد أن يقبل عليه بكل جوارحه ومشاعره ... ويلزم بابه فى إنكسار و خشوع .. فهذا يلزمه .. الجوع.

وقبل أن نترك هذا الباب من أبواب المجاهدات وقبل أن يبدأ أحـــد بـــالتطبيق والإكثار من الصيام وقطع الأنفاس والأيام ننبه ونقول أيها المقبلون على الصيام ويـــا من تريدون التقلل من الطعام! أعلموا أن هناك صومٌ للعدد .. وصومٌ للمدد.

أما الصوم الذي للعدد فهو صوم للأجر والثواب، فمن صام جسمه كتب له الأجر، ومن أطاع الله مع صيامه بالجسم والجوارح عظم أجره عند الله ﷻ.

أما الصوم الذى للمدد، فهو صيام أهل الجهاد لبلوغ الغاية والمراد، والدخول فى عداد أهل القرب والإمداد، وهذا أشار الله إليه فى كتابه بقول القائل منهم (مريم):

﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

فهى صائمة، وصيامها عن كلام الأناسى! فمع من تتكلم؟ .. مع أهـــل المـــلأ

٣٥ عن أبي هريرة ، السنن الكبرى للبيهقي.
٣٦ السيرة الحلبية، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ رشيد رضا.

الأعلى أو من سمت روحانيتهم فتشبهوا بهم أو أشبهوهم فأصبحوا أرواحاً علوية ربانية! تسكن في أجساد آدمية ..تتحرك ظاهراً بين الناس ..والقلب والروح حقائق سائحة و هائمة في ملكوت ربِّ الناس بلا كدر ولا إلتباس ولا احتباس!!.

فبداية الصيام لمن أراد رضاء الملك العلام، أولاً الصوم عن اللهو بكل أنواعه التى تلهي العبد المجاهد عن غايته أو تلفته عن مقصوده، حتى قال الله لنا(٩ المنافقون):

﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

وحتى قال الإمام الداراني منبها على الفتن التى تدخل القلوب خلسة:

كُل ما شغلك عن الله حتي ولو مالٌ أو ولدٌ فهو عليك مشئوم[٣٧]

فشغلك بمالك أو ولدك وزوجك مشروع ، بل وظاهره أنت به مأمور ... ولكن شغلك قلبك بهم مذموم ومطلوب منك أن تطهر قلبك منه، ولذا أخبر ﷺ فى الحديث أن أعدى أعدائك زوجتك وولدك ومالك ونفسك!، هذا إن شغلوك عن الله واستعبدوك أو استعملوك فيما لايرضى الله أو يقطعك عن السلوك السوى!! ... فبداية السلوك تصوم عن اللهو .. ولا يعد السالك فى طريق القوم إلا إذا تحقق صومه عن اللهو أولا.. ثم يرقى فيصوم عن اللغو، ولا يثبت قدمه فى أول طريق أهل جهاد النفس إلا إذا استطاع أن يصوم عن اللغو في كل وقت وحين، ولذا قالوا ونبهوا على حديث المصطفى الذى يخاطب طلاب العلا:

{ إِذَا صُمْت فَلْيَصُمْ سَمْعُك، وَبَصَرُك، وَلِسَانُك عَنْ الْكَذِبِ، وَالْمَآثِمِ، وَأَذَى الْخَادِمِ وَلْيَكُنْ عَلَيْك وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَلا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِك وَيَوْمَ صَوْمِك سَوَاء }[٣٨]

فهل يحلُ له شيىء من هذا فى فطره؟ بالطبع لا ولكنه يجاهد نفسه فى الصيام

---

٣٧ حلية الأولياء ، وتفسير روح البيان وغيرها.

٣٨ شعب الإيمان وفضائل الأوقات للبيهقى، قاله جابر بن عبدالله.

عن اللغو حتى يصبح صائماً بباطنه أى بحقيقة سلوكه حتى ولو كان مفطراً بظاهره، فيصبح عن اللغو صائما فى جميع أنفاسه لأن أحرص ما يحرص عليه العبد في حياته أنفاسه التي يتنفسها في هذه الحياة !! فإن النفس الواحد أغلي من الدنيا كلها.

فالصيام عن اللغو هو بداية صيام أهل الجهاد، ولذا قالوا إذا تمنعت عليك نفسك وعسر عليك قيادها فى طريق الجهاد فعليك بنصيحة سيد العباد لتصل إلى المراد وتكون من أهل الجهاد:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلىٰ خَطِيئَتِكَ }[٣٩]

وبيتك أي قلبك، فتعكف علي تطهيره، وإصلاحه، وتنظيفه، وتحليته، وتعميره، وعندها يمكنك الدخول على الصيام عن السهو! وما أدراك ماهو!

فالصائم عن السهو، لا يسهو لحظة عن مولاه .. إن كان في نوم أو في يقظة أو في شأن من شئون الدنيا أو الآخرة أيا ما كان، سرُّ قوله تعالى:

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (٣٧ النور)

فهناك الصيام عن اللهو.

ثم الصيام عن اللغو.

فالصيام عن السهو.

وهذه هي مراحل الصيام التى يقطعها السالكون فى طريق الجهاد بالتقليل من الطعام واستخدام روشتة الصيام لكبح جماح النفس والقرب من الملك العلام.

ثم يجاهد العبد الصادق فى صيامه ليصل إلي مقام الإحسان.

فالإيقان، فالمعية، فالعندية، فاللدنية، فمقعد الصدق.

فالصيام من أجل رؤيته كما قال الحبيب ﷺ:

{ صُومُوا لِرُؤيَتِهِ وأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِه، فإِنْ غُمّ عليكُم فأكْمِلُوا

[٣٩] عن عقبة بن عامر ، جامع المسانيد والمراسيل،(حل، هب)

عِدَّةَ شَعْبَانَ ثلاثِينَ } ٤٠

صوموا من أجل أن يمن عليكم برؤيته ﷺ ، ولا فطر لكم إلا بعد تحقق الرؤية!، فإن صعب عليكم الوصول لذلك فأديموا الصيام ونوعوا الجهاد حتى تصلوا إلى المراد ويكون جزاءكم هو رب العباد كما قال الحديث مبشراً أهل الجهاد

{ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَوْمُ هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ.} ٤١

فأنا جزاء الصائمين فأشهدهم جمالى وكمالى وأمتعهم بقربى ووصالى.

ولذا قال تعالى فى سر الصيام ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ فلم يقدر على جهاد نفسه! ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ (١٨٥ البقرة) .أو ما زال مجاهداً فى السفر إلي ربه ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أى فليستديم الجهاد وليكثر منه ليقهرها على مراده.

فإن شق عليه ذلك وعسر ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ .فليفتح باباً آخر من أبواب الجهاد بالصوم عن شهوة المال وحب كنزه .. فليتصدق ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ ولتفتح باب النفقة على المحتاجين وإطعام المساكين لوجه رب العالمين.

ولذلك ختم الله آيات الصيام بمن وصل إلى أرقى المقامات فطلب الله وسأل عن الله وصام عن كل ما ومن سواه ... قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ ولنا:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ (١٨٦البقرة)

فالذي يسأل عن الله قلة قليلة ...

وهم المصطفون من خلق الله الذين جاهدوا أنفسهم فى ذات الله ليدوم أنسهم بربهم ولا يشغلهم عنه شاغل.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا بفضلة وببركة نبيِّه ﷺ منهم..

إنه مجيب الدعاء.

---

٤٠ متفق عليه من حديث أبى هريرة ﷺ، مشكاة المصابيح.
٤١ عن أبى هريرة، صحيح البخارى و مسلم

ثانياً: الإقلال من الكلام

لأنه لا يوجد سالك في طريق الله ﷻ يتحدث باستمرار كأنه طاحونة تدور، فكيف يكون سالكاً! فالسالك لا يخرج من فمه كلمة إلا إذا وزنها بنور قلبه، وبشرع ربه؛ فإذا أذن له القلب: استفت قلبك، ووافق عليها الشرع، أخرجها.وإلا كتمها ولم يبدها... لماذا ؟ لأنه يعلم أن الكلام عمل :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق]

سيدنا أبو بكر يقول : "كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام."

وقد قال ﷺ:

{ أَرْبَعٌ لا يُدْرَكْنَ إلاَّ بِتَعَب: الصَّمْتُ وَهُوَ أَوَلُ العِبَادَةِ، وَالتَّوَاضُعُ، وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ، وَقِلَّةُ الشَّيْءِ.}٤٢

وسيدنا رسول الله ﷺ، كان يعطيهم محاضرات في الصمت، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه، قال:

والصمت معراج وجوعك طهرة   والصمت رفرف حضرة التواب

الصمت معراج لله ﷻ ..لأنه إذا صمت اللسان، وغضَّ البصر، وكفَّ السمع هام القلب، وساحت الروح في ملكوت حضرة السبوح ﷻ، وقد قال سادتنا الصالحون رضى الله عنهم وأرضاهم : { مَن عَدَّ كلامه مِن عمله، قلَّ كلامه }

وقد قال رسول الله ﷺ:

{النّاسُ ثَلاثَةٌ: سَالِمٌ، وَغَانِمٌ، وَشَاجِبٌ ، فَالسَّالِمُ: السَّاكِتُ،

---

(٤٢) رواه الحاكم والطبراني

وَالْغَانِمُ: الَّذِي يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالشَّاحِبُ: النَّاطِقُ بِالْخِنى، وَالْمُعِينُ عَلى الظُّلْمِ }[٤٣] .

وقال بعض الحكماء:(إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه، ثم أمضاه بلسانه . وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء أمضاه بلسانه، و لم يتدبره بقلبه) .

ألا تدرون أن معظم الكبائر والمصائب مِن اللسان!فالكذب، وشهادة الزور، والسبُّ والشتم واللعن والغيبة والنميمة، كله من اللسان ، فقد قال ﷺ:

{ إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكِّر اللسان، أي تقول.إتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن إعوججت اعوججنا }٤٤

فإذا قفل الإنسان باب اللسان فملَكَ عنان نفسه دخل فى قوله ﷺ:

{ من وقي شر قبقبة البطن وذبذبة الفرج ولقلقة اللسان فقد وقي الشر كله }٤٥

فهذا هو التدريب العملي الذي يتدرب عليه السالك في طريق الله ﷻ...أنه لا يتكلم، .....إلا إذا كان سيرضي من حوله ويرضي حضرة ربه.

سيدي مكين الدين الأسمر – ﷺ وأرضاه– تلميذ سيدي أبي الحسن الشاذلي – ﷺ و أرضاه – وكان رجلا ترزيا، وكان من الأبدال، والترزي يجلس الناس عنده يتحدثون، فسأله إخوانه: ماذا تفعل؟ قال: إني أجلس مع ربي قبل غروب الشمس، فأستحضر ما تكلمت به طوال يومى، فأجدهابضع كلمات، لا تزيد عن العشر، فما وجدت فيها من خير حمدت الله، وما وجدت فيها غير ذلك استغفرت الله عليها.

---

[٤٣] أخرجه الطبرانى عن حديث أبي سعيد الخدري
[٤٤] أخرجه الترمذى عن حديث أبي سعيد الخدري
[٤٥] أخرجه أبو منصور الديلمى عن أنس

وهذا إقتداء بالصادقين عندما سمعوا حضرة النبي يقول:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ } ٤٦

فطلاب الحكمة العلية، الذين دخلوا مدرسة الحكمة الإلهية، ما سماهم...؟ وما علامات جهادهم .. يجاهدون ليقللوا كلامهم ... ليأخذوا الحكمة :

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٢٦٩البقرة].

فالحكمة تأتى لمن؟ لأهل الصمت عن اللغو وعن الكلام إلا فيما يفيد، ولـــو كان الكلام لدرس أو تعليم حكمة فلا مانع، وكان ﷺ لا يـــتكلم في مـــا لايعنيـــه، ولذلك كان ﷺ يقول:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ } ٤٧

كان ذلك من حسن الإسلام، فكيف بحسن الإيمان أو الإيقان؟ ، فالعبد إما أن يشغل نفسه بالله أو أي ذكر لله، أو يتفكر في مخلوقات الله حتى يتشبه برسول الله ﷺ الذى كان لا يتكلم إلا فيما يرجوا ثوابه، فالكلام الذي يأتى من وراءه ثواب يتكلم به، هذا وأنتم تعرفون أنه ﷺ وصف حتى قبل الرسالة بأنه:

{ لـيسَ بِفَظَ ولا غَلِيظٍ وَلاَ صَخَّابٍ بالأسواقِ } ٤٨

قال مولانا الإمام ابو العزائم رضي الله عنه:

ومن فضائل تقليل الكلام أو الصمت أنه يجعل الإنسان دائما مرفوع الرأس،

---

[٤٦] (هـ حل هب) عن أَبِي خلاد (حل هب) عن أَبِي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُما.
[٤٧] عن حسين بن علي مسند الشهاب
[٤٨] عن عطاء بنِ يَسَارٍ سنن البيهقي الكبرى و رواه البخاري فـي الصحيح عن مـحمد بنِ سـنان عـن فُلَـيْحِ بـنِ سلـيـمانَ

فلا أحد يعاتبه على كلمة قالها، أو أنه شتمه أو اغتابه فيخرج من الدنيا وليس لأحد من الخلق عليه تبعة لأن الله قد يغفر للعبد ما يكون بينه وبينه سبحانه وتعالى، أما ما يهلك العبد فالذي بينه وبين غيره من الخلق، ولذلك عندها يقول الله تعالى:

{ وعزتى وجلالي لا تدخل الجنة حتى ترضي خصمائك، من كان له حق عند فلان فليخرج }

فهذا الذي يطلق للسانه العنان، ولا يستطيع أن يضبط فرامل اللسان كم له من خصماء يوم القيامة يتوجب عليه إرضاءهم !، فهذا حتى وإن كان ليله كله قائماً، ويومه كله عبادة، لن يكفيه ذلك!! وأنتم تعلمون جيدا من هم المفلسون..؟، هم الذين تركوا اللسان علي الفاضي وعلي المليان.

فعلامة الصالحين ؟ .. الصمت، والإقلال من الكلام .. وهذا يحتاج إلي جهاد.عتيد وجهد شديد..، ولا بد أن يعود الإنسان نفسه ..ألا يتحدث، إلا بعد وزن الكلام بنور قلبه، وموافقته لشرع ربه.

وإذا تكلم يكون الكلام في أي شيء؟ .. {لا يتكلم في غير حاجة} ..، ياإخواني إذا كانت أوصاف المؤمنين. وليس المحسنين في كتاب الله ، واسمعوا :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون]

ما اللغو؟ العلماء والخبراء في كتاب الله وفي اللغة التى نزل بها كتاب الله قالوا:

اللغو هو الكلام الذي لا يفيد ولا يضر .. فالله لا يمدحهم بالبعد عن الغيبة ولا النميمة ولا السب ولا اللعن .. لأن كل هذا حرام محقق يجب على كل مسلم أن يمتنع عنه،... لكنه يصفهم بالبعد عن اللغو ... كالكلام في السياسة الذى لا يفيد والكلام في الكورة، الكلام في كل أحوال الناس اليومية بغير تخصيص .

المؤمن إذا كان عن اللغو معرض، في ماذا يتكلم وفي أي شيء؟، قال ﷺ:

{ رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ } [٤٩]

الكلمة التى سأقولها، إذا كانت ستتحول لي بشيك على رصيدي أقولها، وإلا فلا، وبدل ما أتكلم مع البشر أتكلم مع رب البشر ﷻ الذى يقول لعبده:

{ أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ } [٥٠]

نسمع حكم الحكمة الإلهية في هذا الأمر:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [١١٤ النساء]

حكم من هذا يا إخوانى؟ .. هذا حكم أحكم الحاكمين، ولنسأل رسول الله ﷺ من أبغض الناس إلى الله وأبعدهم عنك يا سيدى يارسول الله؟ قال :

{ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي — من يارسول الله؟— الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ } [٥١]

فالثرثار الذي يرغي كثيرا، والمتشدق الذى يخرج كلامه من شدقيه ولا يكف عن الكلام، المتفيهق: الذي يعمل نفسه فقيها في كل شيء ولذلك كرر رسول الله ﷺ مقالته وأعلن بغضه للمكثرين من الكلام وقال فيهم قولة تقطع القلوب فقال:

﴿ شِرَارُ أُمَّتِي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ﴾ [٥٢]

فكل هذه الصفات الذميمة المهلكة تأتى من إطلاق اللسان بالكلام فيثرثر ويزيد فيتشدق ! ويتفيقه ! .. وكله من إطلاق اللسان ... فعلى الإنسان أن يقلل من الكلام ، فلإن كان ولابد فعليه أن يفكر قبل أن يتكلم، لأن الكلمة إذا خرجت

---

[٤٩] هناد والْخرائطي في مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ عن الْحسن مُرْسَلاً

[٥٠] رواه ابن ماجه، واللفظ لَهَ وابن حِبَّانَ في «صحيحه» ورواه الحاكم في «المستدرك» من حديث أبي الدرداء

[٥١] عن أبي ثعلبة الخُشني صحيح ابن حبان

[٥٢] (خد) عن أبي هريرة ، جامع المسانيد والمراسيل.

منك ملكتك وإذا منعتها الخروج ملكتها ، فقد تخرج منك كلمة تتسبب لـــك فى أن تذل رقبتك أوتحنى قامتك لمن لا يساوى!، لأنها كلمة فى حق إنسان أي ما كان قدره عندك!، وقد تتعرض للصغار من أجلها! قال القائل سائلاً رسول الله ﷺ:

{ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[٥٣]

فالمؤمن لا يتكلم إلا إذا كان واثقاً أن ما ينطق به في صحيفة حسناته:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨ ق]

وليس قولاً فقط، وإنما قول وعمل. فالمؤمن يا إخواني لا ينطـــق إلا إذا كـــان نطقه في ميزان حسناته. ولذلك قال ﷺ في حديث آخر :

{ طـوبي لمن أمسك الفضــل من لسانه وأنفق الفضــل من ماله.} ٥٤

ثالثاً: الإقلال من المنام

و الإقلال من المنام، بمعني أنه لا ينام إلا إذا غلبه النوم، وهذا حال الــصالحين لإستثمار وقتهم ....:

فابذل الوقت في نوال نفيس ... بجهاد لمحت فيـه رضاه

يحرصون علي الوقت حتي لا يضيع منهم هباءا، والإمـــام أبـــو العـــزائم رضي الله عنه وأرضاه – من ضِمْنِ تأويله– لقول الله :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [٢٦_٢٧الإسراء].

قال: إن من أعظم التبذير، أن يبذر الإنسان أنفاسه، ووقته في غير طاعـــة الله

---

٥٣ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي.
٥٤ رواه البراز عن حديث أنس .

ﷻ، وأنتم تعلمون : أن تبذير المال ...سهل، لأن المال يـذهب، ويجـيء، ويمكـن تعويضه، لكن الأنفاس التي خرجت من الإنسان كيف يعوضها مرة أخـري....!!؟ والأيام التي مضت كيف يرجعها....!!؟ فأعظم التبذير ...وأخطـر التبـذير.... أن يبعثر الإنسان الأيام و الأنفاس في غير طاعة الله ﷻ...لأنه لا يستطيع أن يعوضـها أبدا ، ولذا عمد أهل جهاد النفس لهذه الخصلة ونظروا وتفكروا كيف يقللون مـن المقام ويستثمروا أوقاتهم فى القرب من الملك العلام فوجدوا أن من أكـرم الخـصال وأجل الأعمال أن يصلوا بالليل والناس نيام ....

وهنا وجب الحديث عن قيام الليل !! .. وما أدراك ما قيام الليل !!

فمن لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة كما قال الأولون! إذ كانوا يأخذون بالحظ الأوفر من قول الله تعالى:

{ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } (١٧الذاريات)

وقوله علت ذاته وتباركت أسمائه وصفاته:

{تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ } (١٦ السجدة)

فمن أراد أن يكون مع حبيبه ﷺ، لابد أن يدخل نفسه فى الطائفة التى معـه وهى معية خصال وفعال وليست معية مكان أو زمان فى قوله:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (آخر المزمل)

فمن أراد ذلك ... لا بد أن يكون له حظ وافر مـن الوقـوف فى طـابور التجليات والفيوضات والهبات والتنزلات والأسرار والأنوار، ألا وهو طابور القيـام ... قيام الليل، الذى يعشق الوقوف فيه كل الصالحين والصالحات، على مر الأزمان والأوقات قال ﷺ :

{عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى الله وَمَنْهَاةٌ عَن الإِثْمِ وتَكْفِيرٌ للسَّيِّئَاتِ ومَطْرَدَةٌ للدَّاءِ عَن الجَسَدِ} ٥٥

وهكذا كل سالك صالح أو طالب فى طريق القوم فالح، لابد له من أن يفرض القيام على نفسه ليزكيها ويطوعها فى طريقهم، ويقول لها أن يانفسُ إن كان حبيبك ﷺ قد فرض عليه القيام وقام ﷺ هو وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لمن سأل عن رسول الله ﷺ وقيامه فى الليل:

{ أخبرينا عنْ خلقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قالت: ألستَ تقرأُ القرآنَ، قلتُ: بَلَى، قالتْ : فإنهُ خُلُقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأردتُ أنْ أقومَ وَلاَ أسألَ أحداً عنْ شيءٍ حتّى ألحقَ باللَّهِ، فعرضَ لي القيامُ فقلتُ: أخبريَنا عنْ قيامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قالت: ألَسْتَ تَقْرَأُ {يا أيها المزَّمِّل} قلتُ: بلَى قَالَتْ: فإنّها كَانَتْ قِيَامَ رَسولِ اللهِ ﷺ أُنزلَ أولُ السورةِ فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُهُ حتّى انتفختْ أقدامُهُم وحُبِسَ آخِرُهَا في السماءِ ستةَ عشَرَ شهراً، ثُمّ أُنزلَ فَصَارَ قيامُ الليلِ تطوعاً بعدَ أنْ كانَ فريضةً } ٥٦

فكذا يانفس أنا أوجب عليك القيام لتكونى مع رسول الله ﷺ سيد الأنـام! وصحبه الكرام ... يانفس! ألم تسمعى خطاب الله تعالى لنبيه داوود عليه السلام فى حق اصحاب القيام بين يدى الملك العلام والناس نيام، قال له مولاه : ياداوود !

{ إن لي عباداً يحبُّوني وأحبُّهم، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتُّك. قال: يا ربُّ وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال

٥٥ سنن الترمذي، عن بلال بن رباح
٥٦ سنن الدارمي وسنن أبي داود وغيرها عن سعد بن هشام

بالنهار كما يراعي الراعي غنمه (الظلال إشارة إلى الأجسام) ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنُّ الطير إلى أوكارها، فإذا جنَهم الليل واختلط الظلام وخلا كلُ حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إليَّ بأنعامي، فبين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي، أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثاني: لو كانت السموات السبع والأرضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم. والثالث: أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحدٌ ما أريد أن أعطيه ؟}٥٧

يانفس ألم تعلمى ان الماشى فى حوارى وأزقة المدينة المنورة أيام رسول الله ﷺ وأيام السلف الصالح ﷺ بالليل، كان يسمع فى مسيره أينما توجه دويا في مساجدها وفي بيوهّا كدوي النحل، لأن الجميع قد أفترشوا أقدامهم ووقفوا بين يدى الملك العلام .. يناجون مولاهم وربهم بالأسحار، وقت السحر الذى علمهم الحبيب:

{ يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي، فَأَغْفِرَ لَهُ؟} ٥٨.

يانفس وقت الفتوحات ووقت التنزلات للصالحين والصالحات هو وقت السحر، حتى قيل أن سيدنا يعقوب عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما قال له أبناءه يا أبانا استغفر لنا ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ

---

٥٧ إحياء علوم الدين ، وتعريف الأحياء بفضائل الاحياء
٥٨ رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، الترغيب والترهيب، ثم لمسلم وفى التوحيد لأبى خزيمة.

ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾(يوسف) قيل أجلّ الإستغفار إلي وقت السحر[٥٩]، أى سوف أستغفر لكم في وقت السحر، لأنه الوقت الذي جعله الله لعباده الصالحين يفتح لهم فيه خزائن الجود الإلهي وخزن الكرم الرباني...

وهذا يانفس لا يكون للنائمين ولا للغافلين ولا للساهين، وإنما هو للقائمين والذاكرين وللراكعين وللساجدين وللحاضرين وللتالين ، ... وللمتوجهين بالكلية لرب العالمين ﷻ في هذا الوقت والحين.

يانفس ألم تعلمى أن رسول الله ﷺ قال لمن أراد المكانة يوم القيامة:

{ إنّ في الجنّةِ غُرَفاً يُرَى بَاطِنُها مِنْ ظَاهِرِهَا، وظَاهِرُها مِنْ بَاطِنِها، أَعَدّها الله لِمَنْ – وذكر منهم- وقامَ باللّيْلِ والنّاسُ نِيَامٌ } ٦٠

يانفس بالقيام تدخلين الطائفة التى مع الحبيب،وتنضمين إلى الركب المهيب:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (٢٠ المزمل)

فمن هولاء المختارون المخصوصون منهم من كان يقوم الليل كله بركعتين كسيدنا عثمان بن عفان ﷺ يقرأ فيهما القرآن كله، ومنهم من كان يطيل فيه السجود كسيدي علي زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ حتي سمي السجَّاد ، وقد عرف بهذا اللقب مثله الكثيرون مثل على بن عبدالله بن عباس الذى كان يصلى ألف ركعة فى الليلة[٦١]، ومنهم من كان يصلي كل ليلة ثلاثمائة ركعة كالجنيد ﷺ.

وحتى النساء يانفس :

فمنهن من كانت تصلي الليل كله فتصلى في كل ليلة ألف ركعة مثل السيدة رابعة العدوية، التى سئلت عن ذلك؟ قالت وذلك ليفتخر بي رسول الله ﷺ يوم

---

٥٩ ورد عن عبدالله بن مسعود وآخرين، تفسير الطبرى وكثير غيرهم كثل التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا.

٦٠ {لمن أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وأَلاَنَ الكَلامَ وتَابَعَ الصِيَامَ، وقامَ باللّيْلِ والنّاسُ نِيَامٌ } عن أبى موسى الأشعرى، الطبرانى فى الكبير.

٦١ السيرة الحلبية.

القيامة، فكانت ﷺ تصلي الليل، فإذا قرب الفجر نامت نومة خفيفة ثم تقوم وتقول:

{ يا نفس كم تنامين وكم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا صبيحة يوم النشور!! }

فكان هذا دأبها حتى ماتت.

واقول لكم أخواني القراء الكرام، لا تتعجبون وتستبعدون كيف كانوا يصلون هذا العدد الهائل من الركعات ...ولا كيف كان عثمان ﷺ يقرأ القرآن كله في ركعتين! والليل محدود ساعاته؟ فإن الله يطوي الزمان إذا شاء لأناس كما طوي لغيرهم المكان!! اكراماً من الله وإنعام!! ، ولاحجر على فضل الملك العلام.

وقد اشتهر بقيام الليل كله وصلاة الصبح بوضوء العشاء الاخيرة قوم كثيرون منهم الإمام أبوحنيفة و سعيد ابن المسيب وفضيل بن عياض وابو سليمان الداراني وحبيب العجمى ومالك بن دينار ورابعة العدوية وغيرهم كثيرون[٦٢]

وإذا كان الإنسان متعباً في وقت من الأوقات فقد سهل إمامنا أبوالعزائم ﷺ العمل للمتعبين والمثقلين في هذه الأيام فقال ﷺ:

" تستطيع أن تصلي قيام الليل مجزءاً فتصلي أربعاً بعد العشاء، وتصلي أربعاً قبل النوم، وتنام علي وضوء كسنة الحبيب ﷺ، وتقوم قبل الفجر بقليل تصلي أربعاً، ثم تصلي الشفع والوتر." .. هل هذا العمل عسير يا أحباب؟

أظن أن هذا عمل سهل ويسير لمن أراد أن يسلك هذا المسلك، ويدخل في معية الحبيب ﷺ ،فإن هذه المعية لا نستطيع وصفها، ولا الإحاطة بالدرجات التي جعلها الله ﷻ لأهلها، ولا بالعطاءات التي خص الله ﷻ الأحباب المندرجين فيها، فإنه عطاء بغير حساب!....

ولكن المهم المداومة يا أحباب !! المداومة !! المداومة .. ففيها السر ....، ويَسَّر الحبيب ﷺ للمديمين فقال :

---

[٦٢] تفسير حقي لإسماعيل البرسوسى

{ مَنْ نَامَ عَن حِزبِهِ أو عَن شيءٍ منهُ فقرأَهُ ما بين صَلاةِ الفجرِ وصلاةِ الظهرِ كُتِبَ له كأنّما قرأَه منَ الليلِ } [٦٣]

حتى يداوم، هذا إن كان قراءة ، ولكن لو فاتته ليلة؟ أى قيامها! فليؤدها من وقت حل النافلة إلي صلاة الظهر، يؤدي فيها الصلاة لله ﷻ التي يداوم عليها، حتى يكون من المديمين للعمل لله الذين يحبهم الله جلَّ في علاه.

رابعاً: الإقلال من مخالطة الأنام

وهو الأمر الرابع ...فإذا أكرم الله ﷻ عبداً... وقام لدعوة الخلق....فإن الله ﷻ يؤيده، ويسدده وهذا ليس لنا شأن به، بل نجاهد أنفسنا فقط .. والإمام أبو العزائم – ﷺ وأرضاه – قال لنا في هذا الكلام ..:

وليس الكل مطلوبٌ لهذا ... ولكن خص لبعض أفراد قليلة
فداري أهل عصرك واجتنبهم ... وواصلهم علي قدر الضرورة
فمنكرهم يسيء ومن يسلم ... فقربه ولا تأمن شروره

فلابد أن يقلل السالك من مخالطة الناس، وعليه أن يخالط الصالحين المتقين والمشتغلين بطاعة رب العالمين ﷻ، روى صدقة بن أبي عمران قال:

{ أتيت أبا ذرّ فوجدته في المسجد محتبئاً بكساء أسود وحده فقلت: يا أبا ذرّ ما هذه الوحدة؟ فقال: سمعت رسول الله يقول { الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَإِمْلاَءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتِ خَيْرٌ مِنْ إِمْلاَءِ الشّر } ٦٤

---

٦٣ عن عُمَر بن الخطاب، سنن الترمذي وصحيح مسلم
٦٤ (ك هب) عن أبي ذَرّ رَضيَ اللَّهُ عنهُ جامع المسانيد والمراسيل

إذاً علــى أن أكــون مــع الصــادقين أو الصالحين ، أو أن أجلس وحدى! أو أن أصمت أما أن أكون مع الغافلــين فقــد حــذرنا الله منهم [التوبة]:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

لكن الأنام الذين شغلهم كله في الغيبة، والنميمة، وقيــل، وقــال، نتــركهم بالكلية....، لأن الله ﷻ قال فيهم [الأنعام].:

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

لأنهم ظلموا أنفسهم ....فعدم مجالستهم أفضل، بل نجالس الصادقين، كمــا قال رب العالمين، وهم عباد الله المتقين، الذين وقتهم ثمين في طاعة الله في كل وقــت وحين، وحتى لو كان الغافلون هؤلاء من أقرب الأقربين وأنا أعلم أنهم من الغــافلين اللاهين ، ولابد لى من الزيارة فلتكن لحظات لكى لا أقع فى المحظورات،فلكى يــزور الإنسان قريبه أو قريبته؛ يقع فى الغيبة والنميمة؛ لا وألف لا!!

إجعل الزيارة لحظات ....أما صلة الأرحام الأولى فهى صلة الأرحام النورانية التى تصلنا بالحضرة المحمدية، وذلك لأن لنا رحمان، الأول رحم جــسمانى ، والثــانى رحم نورانى، وهو الذى بــه التزكية وبــه التعلية وبــه التصفية وبه الترقية، أمــــا الرحــم الجسمانى فكما "معتم !!، فصلة الأرحام إن تأتت منها الآثام، فلتكن على قــدر الضرورة والسلام !!.

لماذا هذا الحرص على الوقت يا إخوانى ؟ لأن المؤمن رأس ماله! مــاذا ؟ هــو وقته أو أنفاسه أو عمره! أنفاسك هى التى تفصل بينك وبين مولاك!، وهى معــدودة بالنفس دخولا وخروجاً لا تزيد ولا تنقص ..فالمؤمن أحرص الناس على وقتــه، لأن أنفاسه إما فى قربة إلى الله، وإما فى عمل صالح فى رضاء الله، وإما فى غفلــة! حفظنــا الله!أو فى مقت أو فى ذنوب وآثام، وهذا شر دائم! والعياذ بالله ﷻ فى الدنيا ويــوم الزحام، وفــد قــال ســيدى الإمــام الشافعى ﷺ عن خطر الوقــت:

{ صحبت الصوفية سنتين فتعلمت منهم كلمتين الوقت، كالسيف أن لم تقطعه قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق؛ شغلتك بالباطل } ٦٥

فنحن فى كل يوم جديد عندما يطلع النهار ويمر اليوم، أكون قد قطعت يوما وليله من عمرى، وقربت من الله مقدار هذا اليوم فماذا قدمت ؟ إذاً شعار الصالحين هو الحرص على الوقت ، ولذلك تجد أن بعض الصالحين كانوا يفرون من الخلق من أجل هذه الأشياء،فمنهم ضعيف كان من يفر إلى جبل! ومنهم من يفر إلى الصحراء!

أما الأقوياء فيفرون من الخلق وهم بينهم!.يفرون من أحوال الخلق وهم وسطهم! ولكن ليس معهم ! لماذا؟ .. لأنه مشغول بالله، وللإمام أبى العزائم رأى وجيه فى قول الله تعالى { وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ } (٢٦-٢٧ الاسراء):، قال:

هو التبذير فى الأنفاس فالمال يزيد وينقص! لكن النفس إذا خرج فلن يعود!! فإذا بذرت نفسا واحداً فى غفلة أو بعد؟ فلن يرجع مرة أخرى بأى ثمن كان!! فهذا أشد التبذير !لأن أنفاسك أغلى من الجواهر وأنفس من كل النفائس !!

ولتعلم قيمة الوقت ولا تضيعة فى الغفلة مع الخلق عن الحق!! فإن سيدى كمال الدين الأخميمى ﷺ زار سيدى عبد الرحيم القنائى ﷺ فى مسجدة المدفون به يوماً، وكانوا ﷺ مكاشفين يرون أهل البرزخ عند الزيارة ويحدثوهم مشافهة، فبعد أن تكلم سيدى كمال الدين مع سيدى عبد الرحيم، قال له أوصنى يا سيدى، فقال:

{ يا بنى لا تضيِّع نفساً فى غير ذكر الله، فأنا فى روضات عالين كما ترى، ومع ذلك أقول يا حسرتا على ما فرطُّتُ فى جنب الله }.

ومالعجب فى ذلك ! أوليس النبى ﷺ قد أباح لنا السر الذى يتحسر من أجله أهل الجنة!! أتعرفون على ماذا يتحسرون كما أخبر الحبيب:

---

٦٥ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزيه.

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا } [٦٦]

ولذلك فإن أحرص ما يحرص عليه الإنسان فى هذه الحياة هو الوقت ولذا قال الإمام الشعرانى فى العهود المحمدية شارحا سبب هذه الحسرة والندامة يوم القيامة:

{ يتحسرون وذلك لأنهم لا يجالسون الله تعالى في الجنة إلا بقدر مجالستهم له في ذكره في دار الدنيا وإن كانت في الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا }[٦٧]

قال الإمام الجنيد ﷺ : { لو أقبل عبد على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان الذي فاته أكثر مما حصل له }

فانظروا أيها السالكون المجاهدون أنفسهم فى طاعة مولاهم لا تستصغروا النفس الواحد فى الغفلة لأنه النفس فى شغل بأهل الباطل يضيع منك دهراً كاملا أقبلت فيه على مولاك، وما أجمل واوضح قول أبى الفرج بن الجوزى ﷺ فى تنبيهه للسالكين ألا يضيعوا نفيس أنفاسهم فى الغفلة عن ربهم :

{ أيها الشاب أنت في بادية، ومعك جواهر نفيسة وتريد أن تقدم بها على بلد تبيعها فيه، فاحذر أن يلقاك من يغرك بالهوى (أى يضحك عليك مستغلا هواك!) فيشتري ما معك بأقل ثمن (أي يجعلك تضيع أنفاسك الغالية بمشاغل الدنيا الفانية)، فتقدم البلد فترى الرابحين فتفقع أسفاً، وتبكي لهفاً، وتقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، هيهات أن يرد الأسف ما سلف }[٦٨]

---

٦٦ (طب هب) عن معاذٍ رضي اللّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
٦٧ العهود المحمدية للإمام عبد الوهاب الشعرانى ﷺ.
٦٨ تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لأبى الفرج الجوزى

ورسول الله ﷺ يحذر من الذى يضيع وقته فى مخالطة الخلق بـــلا رابـــط ولا حاجز فهى المصيبة الكبرى، واسمعوا عن رسول الله ﷺ النصيحة أيها النـــاس ! لأن هذا يصير من المفلسين النادمين يوم القيامة، ولا مرد! فالإكثار من مخالطة الأنام تجـــر إلى الغيبة والنميمة والمشاحنات والبغضاء والحسد وأكل الحقوق والكثير غيرها .....:

{ الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هذَا، وَقَذَفَ هذَا، وَأَكَلَ مَالَ هذَا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هذَا، فَيُعْطَى هذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ } ٦٩ كما قال إبن عمر ﷺ :{ نهانا رسول الله ﷺ عن الغِيْبَة وعن الاستماع إلى الغيبة }[٧٠]،

أظن هذا يكفى ويزيد لكل عاقل لبيب ... إذاً يا أحباب علينا الإقلال مـــن مخالطة الأنام إذا كانت المخالطة تجرى إلى الذنوب والآثام أو على الأقل بها غفلة عن الله ﷻ ، وتمثل قول القائل الإمام أبى العزائم ﷺ :

واغنم الوقت فى نوال نفيس بجهاد لَمحت فيه رضـــــاه

خامساً: ذكر الله والتفكر على الدوام

ولابد أن يلازم الإنسان ذكر الله ﷻ علي الدوام، و هذه الوسيلةُ الرابعة وقد يجعلها بعض أطباء القلوب كوسيلتين أو دوائين وهذا لامانع منه فالـــذكر والفكـــر مرتبطان ومتشابكان، فلابد أن يكون لسانك رطبا بذكر الله ﷻ وباطنك مـــستغرق بالفكر والتدبر فيما تذكره وملاحظة معانيه وأنواره وأسراره.

---

٦٩ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رواه مسلم والترمذي وغيرهم، الترغيب والترهيب
٧٠ عن ابن عمر فى مجمع الزوائد ، وأخرجه الطبرانى.

وقد كان ﷺ يذكر الله علي كل أحواله ويديم الفكر والتفكر في ألآء الله وآياته ... فلابد لك أيها السالك المجاهد لنفسه والطالب لرضاء ربه ... لابد لك أن تديم الذكر والفكر والتفكر و التدبر في آيات الله و في خلق الله، حتى يهتدي السالك بقدرة الله إلي نور الله المنبث في كون الله، و يدخل في قول الله [٥٣فصلت].:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

ولا يوجد شيء يستطيع أن يتشبث به العبد للقرب من الله كذكر الله ﷻ، وهذا طبعاً بعد الفرائض لأن الفرائض أمر مفروغ منه ولا فصال فيه ويجب أن نقوم كلنا بها كما أمر الله وبين رسوله.

ولكن طلاب المزيد من الحميد المجيد كالذي ذهب لرسول الله يريد شيء من النوافل يغني عن الكل فقال ﷺ عندما قال له الرجل دلني علي شيء أتشبث به :

{ يا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسلامِ قد كَثُرَتْ عَلَـيَّ فأَخْبِرْنِـي بأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قالَ: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً بِذِكْرِ الله } [٧١]

وقد يقول قائل أحياناً أذكر الله وأنا مشغول وهو ذكر مع غفلة؟، نقول حتى ولوكان درب نفسك على الحضور شيئاً فشيئاً ولكن لا تتركه ... أذكر ,اذكر لأن سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري قال:

{ لا تترك الذكر لوجود الغفلة فيه، فرُب ذكر مع غفلة ينقلك الله فيه إلي ذكر مع حضور وذكر مع حضور ينقلك الله فيه إلي سماع الذكر من المذكور }

قال تعالى مبشراً الذاكرين وياله من جزاء تهون دونه الأحداق والأعناق :

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [١٥٢البقرة]

ولذا ورد عنه ﷺ في جزاء الذاكرين الذين يذكرهم رب العالمين قوله ﷺ:

---

[٧١] عن عمرو بن قيس الكِنْدِيِّ عن عبد الله بن بشر مسند الإمام أحمد وسنن البيهقي الكبرى

{ مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ الله تَعالى، مِنْ ذِكْرِ الله تعالى، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجِهَادُ إلاَّ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتّى يَنْقَطِعَ، ثلاث مرات }. [٧٢]

من يارسول الله من أصحابك لهم المكانات العالية؟ من؟ روى عنه ﷺ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً }. رواه مسلم و ولفظ الترمذي: { يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ قَالَ: «الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافاً } [٧٣]

ذهب بعض الشباب الذين انضموا إلى الخوارج في عصر الصحابة، وكان هؤلاء الشباب يهتمون بتلاوة القرآن والصيام والتهجد بالليل، وقد سألوا عن عبادات أصحاب سيدنا رسول الله فذهبوا إلى امرأة سيدنا أبو الدرداء، وقد قال في شأنه رسول الله ﷺ وكان اسمه عويمر: { عُوَيْمِرٌ حكِيمُ أُمَّتِي } [٧٤]، فقالت لهم زوجته:

{ لم تكن عبادته كعبادتكم، ولكنه كان يجلس يتفكر }

فإذا قلل الكلام مع الأنام ولم يتكلم مع الملك العلام، شغل نفسه بالفكر والتفكر كما قال ﷺ فى هذا المقام:

{ تفكر ساعة يعدل عبادة سنة } [٧٥] { وَلاَ عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ } [٧٦]

---

[٧٢] عن معاذ بن جبل رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد

[٧٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ فى الترغيب والترهيب وغيرها كثير، المفرِّدون والمستَهتَرون هم المولعون بالذكر، المداومون عليه. لا يبالون ما قيل فيهم، ولا ما فعل بهم

[٧٤] (الحارث) عن أبي المثنى المليكي مرسلاً.

[٧٥] أخرجه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف

[٧٦] أَبو بكر بن كامل في مُعجمِهِ ، وابن النَّجَّار عن الحارث بن عليّ رضيَ اللَّهُ عنهُ.

الساعة هنا تعنى اللحظة، أي أنه إذا تفكر لحظة فله عند الله كعبادة سنة نهارها صيام وليلها قيام، وكان الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول:

{ لحظة فكر بيقين خيرٌ من عبادة سنين }

لأنه بها ينقشع عن القلب الحجب ويزول عنه الران، ويتنزل له الفضل من حضرة الرحمن؛ ... لأنها العبادة الوحيدة التى تخشع بها القلوب ... ويتقرب بها العبد من حضرة الرحمن والنبي العدنان ﷺ، ولن تبلغ العلا من اول الطريق ولكن بالصبر والعمل تبلغ الأمل وتحصل الهدف، فمن ذا الذي يصلي ويجد الخشوع من أول صلاة لله؟ .. بل لا بد وأن يصلي أولاً ويُخشِّع نفسه ويجاهد نفسه إلي أن يصل إلي مقام الخشوع، وهذه هي الصلاة العظيمة التي يحبها الله ﷻ ، إذن علي المؤمن أن يذكر الله علي كل حال ويتفكر فى كل وقت وآن ... يذكر ويتفكر إن كان قائماً أو قاعداً أو جالساً، أو على أى حال كان ....

فبم تذكر الله يا أخى يامن تريد أن تستعين بذكره؟

تذكره بتلاوة القرآن، تذكره بالإستغفار والمداومة على الأوراد والأذكار، وتذكره بالصلاة على النبى العدنان ... ونفصل وبالله التوفيق فنقول:

ذكر الله بتلاوة القرآن

وهو من أعظم القربات وأجل العبادات ،ولذلك قال حبيبي وقرة عيني ﷺ :

{ أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ } ٧٧

التلاوة ذكر، وسماع القرآن ذكر، فإذا تلوت فإنه ذكر، وإذا كنت لا أستطيع التلاوة وأسمع مسجل فإن ذلك أيضاً ذكر قال ﷺ :

{ السامع والقارئ في الأجر شريكان،

---

[٧٧] (هب) عن النعمان بن بشير رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل)

وفى رواية: **والعالم والمتعلم شريكان فى الخير}** ٧٨

لكن المهم عندما اسمع القرآن إن كان في البيت أو في السيارة أو في العمل أن أعمل بقول حضرة الرحمن: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ لماذا؟ ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٢٠٤الأعراف] وكلمة لعل في القرآن ليست بمعني الترجي كما تقول اللغة ولكنها بمعني التأكيد.

إذن عندما نسمع القرآن يجب أن ننصت ونمتنع عن الحديث، وعندما يأتي من يكلمني وأنا أستمع القرآن يجب أن أقول صدق الله العظيم، وأغلق المذياع أو المسجل إلي أن ننتهي من الحديث، وقد يقول قائل إنه كلام الله دع المذياع يعمل، من الذي يسمعه هنا؟ هل الجن والملائكة الحاضرون في المكان أكثر أدباً مني في سماع كلام الله ﷻ ؟ لا لأن سماع القرآن يستلزم مني أن أنصت وليس هذا وحسب لكن أكون مع الآيات، فإذا كانت آية فيها دعاء ذكره الله ، أردده وأدعو به، أو أقول آمين أو اللهم استجب يارب العالمين.

وإذا كانت آية ترغب فى الدعاء عليَّ أن أدعو، وعندما أسمع القارئ يتلو قوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦٠غافر] ماذا أفعل؟ أدعو الله بما يفتح عليَّ به بلا تكلف لأن ذلك هو رزق الله لى الذى به فتح باب الإجابة إنشاء الله، ولذلك فإن سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ يقول في حكمه العظيمة:

{ إذا فتح لك باب الدعاء فقد فتح لك باب الإجابة }

وإذا جاءت آيات تتحدث عن الجنة:أقول اللهم اجعلني من أهلها،.وإذا جاءت آيات تتحدث عن النار أقول اللهم احفظني من النار وشرورها وعذابها.

وبهذا أكون متجاوبا مع كتاب الله مع السماع.

والمواقف التي وقف عندها حضرة النبي يجب أن أكون يقظاً عندها، فإذا جاءت آية سجدة عليَّ إذا كنت علي وضوء عند سماعها أن أتجه للقبلة وأسجد، أما

---

[٧٨] أبو أمامة ، الترغيب والترهيب.

إذا كنت علي غير وضوء أو علي سفر ولا أستطيع الإتجاه إلي القبلة؛ عليَّ أن أقـول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإذا كنت في واجب عزاء ولا مكان يصح فيه السجود أيضاً أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وإذا قرأ القارئ قول الله ﷻ في آخر سورة التين ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾، أقول في نفسي كما قال النبي "بلي وأنا علي ذلك من الشاهدين"، وإذا قرأ آخر سورة القيامة: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾، أقول بلي قادر وهكذا أتجاوب مع آيات الله ﷻ.

وإذا كنت سأتلو القرآن بنفسي هنا يستحسن أن أقرأ في مصحف مفسر فالقرآن موجود في المتن وبجواره تفسير موجز بسيط للكلمات التي لا أعرف معناها، ومنها سبب نزول الآيات التي لا أعرف لماذا نزلت، لأن أول فرض عليَّ بعد الإيمان بالله أن أتعلم كتاب الله وأعرف معناه، وإذا لم أعرف معناه أرجع للهامش المفسر،فالعبرة ليس بعدد الآيات التى أقرأها ولكن العبرة بالعظة والذكرى، فالله ينادى ويقول ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر ١٧]، ولم يقل فهل من تال، كما لم يقل سبحانه أفلا يقرأون القرآن؟ لا ولكنه قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [٨٢النساء]، فالمهم ليس في القراءة ولكن المهم التدبر، ولذلك ورد فى الحديث الشريف:

{ لاَ خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ إِلاَّ بِتَدَبُّرٍ وَلاَ عِبَادَةَ إِلاَّ بِفِقْهٍ } [٧٩]

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ لأن تقرأ سورة إذا زلزلت الأرض زلزالها بتدبر خير لك من أن تقرأ القرآن كله من أوله إلي آخره هرمزة }

وهرمزة أي يقرأ ولا يعي ما يقرأ، وذلك كما يقرأ الكثيرون في رمضان.

[٧٩] للدار قطنى فى الأفراد عن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهُمَا، جامع المسانيد والمراسيل

ومن يقرأ ويتدبر القرآن في رمضان فهل سيأخذ أجازة من التلاوة بعد رمضان كما أخذها الآن؟! من أين اعتمدت هذه الاجازة؟! هل نسيت أن القرآن سيأتي يوم القيامة ويشكوك إلي الله ﷻ ؟! قال تعالى ف [٣٠الفرقان]:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾

كيف يكون مهجوراً ونحن نضعه علي طاولة الصالون ونعلقه في السيارة ونضعه في غرف النوم وعلي المكاتب؟! نضعه زينة وديكور لكن هل فتحناه وقرأناه وفهمناه، والمهم والأهم بعد ذلك هل عملنا به؟ .. والهجر هنا ليس هجر التلاوة ولكن هجر العمل بالقرآن ... إذن عليَّ عندما أسمع أو أقرأ القرآن أن أتمعن وأتذكر وأتدبر في معاني القرآن، ومن حكمة القرآن أن الله ﷻ يسره للإنس جميعاً وللجان فلو أن هناك رجلاً أمياً ويقرأ القرآن بقلب حاضر وتمعن فإن الله يتزل عليه علوم لم يقرأها أستاذ في علم التفسير وهذا هو كلام الله:

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ ﴾ [١٧القمر]

يسرناه أي سهلناه فأي مؤمن يقرأ بقلب سليم ويتمعن ويتدبر لا بد وأن يفهم، وقد يكون بعضكم رأي ذلك.

فلو أن هناك حتى من لا ينطق العربية ومسلم كما نري في الحرمين ويريد أن يقرأ القرآن كل ما عليه أن يفتح المصحف فيجد أنه يقرأ بلسان عربي مبين.

وعندما تسمعه يهئ لك أنه يتكلم العربية لكن عندما تتكلم معه تجد أنه لا يعرف العربية، إذن لماذا يقرأ كتاب الله؟ إنه التيسير الذي يسره العلي الكبير ﷻ ، قد يقول قائل إنه يقرأ ولا يفهم, أبداً لأنك تجده يقرأ والدموع تسيل من عينيه وهذا معناه أنه منفعل بالكلام ويفهم ما يقرأ، إذن لماذا فهم وهو لا يجيد العربية؟

إنه تيسير رب البرية لآياته القرآنية لكل المسلمين قارئين وغير قارئين، وكانت حكمة انزال الله ﷻ القرآن علي النبي وهو أمي أن يعرفنا أن القرآن ليس للقارئين

وليس لأهل اللسان الفصيح ولا لأهل النحو والصرف واللغة العربية لأن كل هـذه الأشياء جاءت بعد نزول القرآن.

إذن فهم القرآن لأي مؤمن في قلبه يقين ويقرأه ويتمعن ويتـدبر في آياتـه أو وهو يسمعه، وكان السلف الصالح يملكون موهبة ربانية وهي موجـودة ولا زالـت فأحياناً كان يأتي رجل كريم العينين ولا يحفظ القرآن فيقول لآخر أريد أن أسمع كلام الله فيقرأ له الرجل وأثناء القراءة كان الرجل أحياناً ينسي آية فيقول له الرجل كريم العينين لقد أخطأ ت، فينسي مرة أخري ويردده الرجل فيقول المبصر هـل تحفـظ القرآن؟ يقول لا فيقول كيف عرفت إذن أنني قد أخطأت؟ يقول وأنت تقرأ كنـت أري نور فعندما انقطع هذا النور عرفت أنك قطعت الآيات !!

وهذه الأمور موجودة في كل زمان ومكان ، وهذا لأنهم كانوا ومـا زالـوا يسمعون القرآن كما قال الرحمن: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [١٢الحاقة]

ليست هذه الأذن الحسية لأن اسمها أذن صاغية إذا أصغت للعلم والحكمة أو أذن لاهية إذا استمعت إلي الأغاني والملاهي، لكن الأذن الواعية هي أذن القلب وهي التي تستمع إلي كلام الله ﷻ .إذن ذكر الله أعظمه وأبهجه هو كلام الله وقد تـسهل الموضوع الآن فإن لم أستطع التلاوة عليَّ أن أسمع فإذاعة القرآن لا تنقطع في ليل ولا نهار والمسجلات موجودة وتسجيلات القراء المشهورين العظماء موجودة وليـست مفقودة، والمهم أن أجيد السماع والإستماع.

فلا بد أن يكون للسالك المجاهد لنفسه ورد تلاوة لكتاب الله "فاقرؤا ما تيسر منه" فلا يغلق المصحف ليلة العيد ويتركه حتي يأتي رمضان القادم فليس هـذا مـن صنع العبيد الذين يأملون في الرقي والعلو عند الحميد المجيد ﷻ فلا بد أن يكون لـه كل يوم تلاوة للقرآن والرسول ﷺ وضح هذا الموقف فقال:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قامَ بِمَائَةِ آيةٍ كُتِبَ

مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قامَ بِأَلْفِ آيةٍ كُتِبَ مِن المُقَنْطِرِينَ } ٨٠

أي الذين تخرج حسناقم بالقنطار إلي الله ﷻ ، ومعناه أن الواحد لا تقل قراءته في اليوم والليلة عن مائة آية، .. ومائة آية كم تستغرق في القراءة؟ لا تزيد عن عشر دقائق! لكن المهم أن تكتحل العين بكتاب الله... وأن تفتح الآذان بسماع كلام الله .. وأن تحرك اللسان بالنطق بكلام الله.. فهذا تحصين لهذه الأعضاء من كل داء في هذه الحياة ...!!!!

وكان أصحاب رسول الله ﷺ أي يوم يصبحون ولا يطالعون في كتاب، أو لا ينظر أحدهم في كتاب الله .. يظل مكتئباً طوال هذا اليوم!! لماذا؟ لأنه لم يستفتح بكتاب ربه ﷻ ....فلا بد أن يكون لك وردٌ قرآنيٌ دائم كما كان لهم !! .. فقدكان كتاب الله هو سميرهم وأنيسهم وزادهم فى قيامهم وفى إحياء ليلهم، وقد أورد بدر الدين العينى فى كتابه عمدة القارئْ عن أحوالهم الفائقة ما نصه:

{ وكان أبي بن كعب يختمه في ثمان. وكان الأسود يختمه في ست، وعلقمة في خمس، وروي عن معاذ بن جبل، وكانت طائفة تقرأ القرآن كله في ليلة أو ركعة. وروي ذلك عن عثمان بن عفان وتميم الداري، وكان سليم يختم القرآن في ليلة ثلاث مرات، ذكر ذلك أبو عبيد، وقال صاحب التوضيح: أكثر ما بلغنا، قراءة ثمان ختمات في اليوم والليلة، وقال السلمي: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات، وبالايل أربع ختمات }

وكانوا رضى الله عنهم يراجعون أحوال قراءقم لكتاب الله مع بعضهم ليستزيدوا من كل خير وهبه الله لأحدهم، ولم يكونوا يعيبون على بعض أو يرى أحدهم نفسه على الآخر لعمله، اسمعوا لهذه المحادثة العظيمة بين سيدنا أبي موسى الأشعرى وسيدنا معاذ بن جبل ﷺ أجمعين، إذ سأله معاذ:

{ كيف تقرأ القرآن يا أبا موسى؟ قال فى صلاتى وعلى راحلتى

---

٨٠ سنن أبي داوود وصحيح ابن خزيمة وغيرها عنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ

وماشياً وراكباً ، وقائماً وقاعِداً، وعلى فراشي أتفوّقُهُ تفوقاً (أى أجزاه أجزاءاً أو أقرأه شيئاً فشيء)، قال ابو موسى : كيف تقرأ يامعاذ؟ قال: انام اول الليل لاستعين به على آخره واني لأرجوا من الاجر في نومتي ما لا أرجوا من الأجر في قيامي } وفى رواية البخارى { قَالَ معاذ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي }.[٨١]

وانظروا لهذا الفقه الراقى فى عبادة الله .... كانوا إما لا يتركون لحظة إلا فى عبادة صادقة، وكانوا إذا ناموا يرجون بنومهم الذى يستعينون به على القيام أكثر مما يرجون فى قيامهم ...

فكل لحظة من وقتهم مشيا أو ركوبا أو حركة أو سكونا عبادة لله ... حتى نومهم فهو نور فائق وأجرٌ سابق وعبادة عالية لها جزاء من الله لا يعلم مداه سواه !!!

وكانت السيدة العابدة الشهيرة حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين تقرأ كل ليلة نصف القرآن تقوم به في الصلاة وكانت تقوم في مصلاها بالليل فربما طفىء المصباح فيضيء لها البيت حتى تصبح وكانت من عابدات أهل البصرة.

وكان أخوها ابن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ وكانت تقول يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.[٨٢]

هذا نذر يسير وشذر قليل من عمل بعض من الرجال والنساء الأولين والسابقين !! فماذا عملتم أنتم أيها الشباب ؟ ... ماذا عملتم أنتم يامن نوفر لكم المال والصحة بل والوقت عند الكثيرين ؟؟؟؟

والكل يدعى أنه شيخ فى جهاده لنفسه وأستاذ نبيل؟ فأين الدليل؟!!!

---

[٨١] عن سعيد بن ابي بردة عن ابيه ، شعب الإيمان وصحيح بن حبان، وصحيح البخارى وغيرها بروايات.
[٨٢] روح البيان لإسماعيل البرسوسى

ذكر الله بالإستغفار والمداومة على الأوراد والأذكار

والمدامة على الأوراد والأذكار من أفضل الوسائل التى يستعين بها السالك على جهاد نفسه ، ونحن نبين ونقول لمن يظن أن هذه الأوراد والأذكار دائما نوافل! ومأدراك أنك أكملت الفرائض! ألم ترّ إلى حضرة النبى الذى قال له ربه:

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح)

إلا أنه كان يقول حاثا للأمة كلها من أولها إلى آخرها:

{ إنّي أتوبُ إلي الله واسْتَغْفِرَهُ فى كُلّ يوم مَائةَ مرَّة } [٨٣]

أما سالكو الطرق هذه الأيام!! فيقولون لا نحتاج إلى الاستغفار بالمرة !!، وإن استغفر الواحد منهم يوماً! يتركه بعدها أسبوعاً أو شهراً، نحن فنحتاج إلى ستر العيوب بالاستغفار، والدوام عليه لحضرة علام الغيوب، لأنك عندما تقرأ فى دواوين الصالحين تجد أهم يتفننون فى الاستغفار لله، ولذا كثرت الصيغ الواردة .. ياإخوانى إنتبهوا إنما الدرجات بالمجاهدات .. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت)

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم! فهو لا يريد أن يغير ما بنفسه ومع ذلك يريد أن يكتسب أنسه ويصبح من أصحاب التجليات والفتوحات !!، بلا مجاهدات ولا أوارد تلتزم ولا أذكار .... كيف ذلك؟ ... لا يكون !

يجب أن نلتزم بالأوراد التى يعطيها الصالحون للمريد فى البداية وهى:

- أن يستغفر الله مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل.
- ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت

---

[٨٣] صحيح الألبانى

بيده الخير وهو على كل شئ قدير مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل، وسنفـصل فى فضل ذلك لعظم قدر لاإله إلا الله.

– ويصلى على حضرة النبي مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل، وسنفصل فى ذلك أيضا لعظم قدر الصلاة على النبى فى إنجاح السالك فى قطع المسالك.

– و يقول سبحان الله العظيم استغفر الله العظيم مائة مرة نهاراً ومثلها ليلاً.

– بالنهار ومائة مرة بالليل أيضاً .

– وأن يكون له ورد يومي من القرآن على الأقل جزء

وهكذا يا إخوانى لأنهم قالـوا:

{ من لا ورد له فلا ورود له } ، وقال ﷺ:

{ إذا أحبَّ الله عبداً ألهمهُ ذكره } ٨٤

فالذي يحبه الله؛ يلهمه ذكره على الدوام، لأن المنافقين يذكرون، ولكنهم قال الله عنهم : ﴿لَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة النساء]

فذكر الله على الدوام،يجب أن يكون رغبة في القرب من الملك العلام ، وليس رياءاً ولا سمعة ولا شهرة، وهل من يقعد في جبل أو في خلوة ، ويمسك بمسبحة ألفية، ويذكر الله دائماً! يكون علامة على حبِّ الله؟ .. نعم! هذا الذكر علامـة حـبِّ الله ولكن على قدره! ولكن هناك حبٌّ أعظم وأكرم، علامته؟ أن يذكر الله على منـهج حبيب الله ومصطفاه الذى لم يترك العمل ولا الأهل ويقعد في الجبل، فكيـف كـان يذكر الله إذن؟ ، قالت السيدة عائشة ﵂: كان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه:

فلكل لحظة ذكرها ، ولكل حالة ذكرها ، ولكل نازلة ذكرها، والتقي النقـي المجاهد نفسه على درب النبى الذي يذكر في كل حالة بما يلائمها من بحـر النبـوة ، فسيدنا رسول الله كان من لحظة قيامه من النوم ، إلى أن يخلد إلى النوم .... يذكر الله

---

(٨٤) وفى رواية أخرى لإبن أبى الدنيا و البيهقى : " أكثروا ذكر الله على كل حال ، فإنه ليس عمل أحب إلى الله ، و لا أنجى لعبده من ذكر الله تعالى فى الدنيا و الآخرة " .

ولكن كيف كان يذكر الله؟

أكان يقول يا ودود! مائة ألف مرة ؟ أو يا لطيف ؟ أيذكر الله بثلاثة عشر إسما؟ أم بسبع؟ أم بخمس أسماء؟ لا هذا ولا ذاك، ولكن كل حالة لها ذكرها الخاص ولها الفكر أو التفكر الخاص فى جميع الأحوال والأوقات.

وكان ﷺ يذكر بصوت عالٍ ليسمع من حوله لكي يتعلموا.

ما الذي ضيَّع أولادنا وبناتنا ونسائنا ؟ أن الذي يذكر فينا يذكر في سره! فماذا سمعوا! وممن سيتعلمون ؟، لكن الأئمة الأعلام قالوا : أن الحبيب كان يذكر بصوت عالٍ ليُسْمِعَ كل من حوله ، حتى عند صلاته كان وهو راكع أو ساجد يسبِّح بصوت لكي يعرف ويسمع من خلفه، كذلك كان يدعو بصوت مسموع ، فلو أن زوجتي جاهلة ورددت بجوارها هذه الأذكار؛ لحفظتها خلال شهر واحد!، وأولادي نفس النظام، ولكننا لا نهتم بهذا، ولو ذكرنا يوما ننسى شهراً!!!

بسم الله

ومن أفضل الجهاد بالذكر المداومة على "بسم الله" فهى عكّاز المسلم فى كل مقاماته وأحواله، فيا حبذا لو عوَّدنا أنفسنا ومن حولنا على ذلك؛ كلما أمسك أو رفع أو فعل أو ترك أو كتب أي شيء يقول بسم الله !بسم الله!

كيف نعلمهم؟ .. بالحال! وبالفعل ..فلو قلت له قل بسم الله؛ فربما لا يقولها لكنه عندما يراني ويسمعني عند كل شيء أقول بسم الله ، بسم الله ؛ سيتعلم، وسيقلدني ، فعند الطعام، قل : بسم الله؛ يكن في الطعام بركة، وكذا الماء، عند نزوله من الحنفية ، قل : بسم الله ؛ فإن بسم الله فيها شفاءٌ وبركة، أي عمل سأعمله أنا ، أو زوجتي ، أو عيالي ، أقول قبله بسم الله ؛ يكون فيه البركة . والنبي ﷺ قال :

{ كل شيء لا يبدأ فيه ببسم الله ؛ فهو أبتر }[٨٥]

(٨٥) رواه ابن ماجة وابن حبان وأبي داود عن أبي هريرة.

يعني ناقص البركة!، حتى لو أنني غير حافظ للأذكار ؛ ألن أقدر على قول بسم الله ؟..!!فبسم الله أولاً، ثم .الدعاء أيا ماكان !، عند الخروج من البيت ذكر، للذهاب للعمل أو الزيارة؛ يكون لذلك ذكر بسم الله ثم ذكرها الخاص، وإذا ذهبت للمسجد ذكر؛ فَإذا دخلت ذكر وعند الخروج غيره، وإذا دخلت بيتك؛ يلزم الذكر، ففي كل حركة وسكنه يفعلها المسلم، دعاء وارد عن إمام الرسل والأنبياء.

بعض هذه الأدعية يا إخواني يعلمونه لأولادنا في الروضة حاليا! أليس كذلك؟ لكن كلها يجب أن يتعلمها السالك في بداية سلوكه، ويتحقق بها في كل حركاته وسكناته ، فلا يمشي ، ولا يذهب ، ولا يجيء ؛ إلا ولسانه ينطق بدعاء ورد عن سيد الرسل والأنبياء، حتى الأكل والشرب له أدعية في البداية وفي النهاية، حتى النكاح، له دعاء ؟ ومن يدعو به؟ هو وهي، ولابد بصوت مسموع لنذكر بعضنا.

والإمام الشافعي ﷺكان من هديه في مذهبه: أن الإمام يجهر بنيته مع أن محلها القلب، لماذا؟ قال : ليتعلم من خلف الإمام! لأن معظم الناس أميون ، فكيف يتعلمون !، ولذلك أيضاً كانوا يجهرون بختام الصلاة، ليتعلم الناس، مثلاً : سيؤذن!، لا بد أن أؤذن أنا أيضا! من الذي يؤذن يا إخواني؟ المؤذن ؟ أم كل المسلمين ؟بل كل المسلمين، لأنه يؤذن، وأنت تردِّد، إذن كل المسلمين لحظة الآذان في آذان .

أذكار الصباح والمساء

وهناك أذكارٌ يا إخواني هي أذكار النوازل ، هناك أيضاً أذكار الصباح والمساء، ماذا يقول الإنسان بعد صلاة الصبح ، لكي يقيه الله من الآفات ؟ ويحفظه من الأمراض والعاهات؟ ومن شر طوارق الإنس والجن؟ الروشتة النبوية موجودة وكاملة، والأدعية التي بعد صلاة الصبح، ومثلها بعد المغرب، فبعد الصبح يقول "أصبحت" وبعد المغرب يقول "أمسيت"، أو "أصبحنا" ،و "أمسينا"للجماعة.

فالمداومة على هذه الأذكار بالليل وبالنهار هي ما يستعان به بقوة وعزم فى تزكية النفس، لكن أترك هذه الأدعية والأذكار، وأمسك السبحة وأقول" يا لطيف "

مائة ألف مرة، هل أنا اهتديت بالسيد الأعظم عبد الله اللطيف ؟ واقتديت به ؟ لكي يفتح عليَّ اللطيف! بمجرد أن أنادي!..يفتح لي ؟ لا...! لأن مفتاح الفتح هو الإقتداء بسيد الرسل والأنبياء ، ليس بالكلام، ولكن بالإقتداء فهو سر الفتح، ولذلك عندما قالت السيدة عائشة: "كان يذكر الله على كل أحيانه"، كيف؟ بهذه الأذكار!. لأنه إذا قيلت هذه الأذكار في أوقاها هل سيكون هناك وقت فراغ عند الإنسان ؟ لا!

سرُّ ماشاء الله لاقوة إلا بالله

الواحد ينظر بعينيه، فإذا نظر لابنه أو ابنته أو لطعام أو أثاث في البيت ، سيقول :" بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله " ، وكانت على لسان رسول الله على الدوام، وإذا قالها الإنسان فقد حرَّز من رآه، أو من ينظر إليه ببسم الله ﷺ.

ولذلك يقع المسلمون في بعضهم الآن ، يقول أحدهم نظر فلان لابني ؛ وحصل له كذا ...وهو محقٌ !، لماذا ؟ ..لأن فلان هذا نظر وقد لا يقصد الحسد، ولكن لم يحرِّز أخاه بـ" بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله " ، فلو تأسينا برسول الله ؟ هل سيكون هناك حسد موجود بيننا ؟ ... لا!

ولذلك قال الإمام أبو العزائم في كتاب النور المبين : ((قد يصل العبد إلى حالة من الإيمان ؛ لا يؤثر فيه السحر ولا الحسد)) ، لأنه يحرِّز نفسه ، فمن الجائز أن يكون الذي يحسد.. هو أنت!كيف؟ سوف تنظر لشيء عندك ويعجبك! ولم تحرِّزه!؛ فيحدث التأثير من القوى الغيبية للقوى الظاهرية ولكن الذي يحمي من هذا كله هى روشتة العلي الكبير فى قوله تعالى [الآية (٣٩) الكهف]:

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾

كم مرة يقولها المؤمن بالنهار؟ هو يحتاجها مئات المرات ! لأنه ينظر على الدوام ، والذي يقلُّ عن ذلك فأمامه جهاد شديد لكي يتابع السيد السند العظيم ﷺ، ولا يكون غافلاً! فما شاء الله لاقوة إلا بالله على لسانه كلما نظر شيئاً أو أبصره.

ولكن الإنسان لايردِّد باللسان في غيبة القلب والجنان ، لأن أذكار رسول الله تحرِّك القلب والفكر ، لأن كل ذكر له حالة والفكر يشتغل فيه ، إذن القلب لازم يكون حاضر لكي يأتي بالذكر المناسب، لكن عندما أجلس وأذكر " لا إله إلا الله " – مائة ألف مرة – وعيني تنظر هنا وهناك !، فاللسان يقول والقلب مشغول!! لكن أذكار السيد الرسول تقتضي حضور القلب ، وجولة الذكر ، والفكر.

عندما يمشي الإنسان في ساحة هذا الذكر بعد صفاء النفس وطهرة القلب ؛ يبدأ الفكر؛ فتأتي له أرسال وأمواج من العلوم الإلهية والإمدادات الربانية، ويكون أساسها التفكر، ولذلك بداية العلوم الوهبية تأتي نتيجة الفكر بهذه الكيفية لأنه عندما يتفكَّر الإنسان ؛ من الممكن أن ينسى من حوله ويذهب في دائرة ثانية تماماً، يتولاه الولي ويلهمه بإلهامات نافعة ورافعة عندها، ويؤيدها له بنصوص في كتاب رب العالمين، وأحاديث صحيحة عن سيد الأولين والآخرين ﷺ .

لذلك مقرر المدرسة المحمدية لأهل المتابعة على الأذكار والأوراد بالصباح والمساء وكل الأحوال والأوقات هي هذه الأذكار، فمن أراد السلوك فليطالعها مثلاً في كتاب الأذكار للإمام النووي،، أو عمل اليوم والليلة لابن السنى، أو ابن ماجة " ،أو كتبنا أذكار الأبرار أو مفاتح الفرج، لكي يحفظها المريد بالتكرار ، والاستمرار! .

ولا يغَّير لفظا فى دعاءٍ وارد ... لماذا؟

لأن رسول الله ﷺ عندما سأله أحدهم عن دعاء النوم؟ فلقنه دعاءاً فيه "وبنبيك الذي أرسلت"، فقال الرجل مردداً(وبرسولك الذي أرسلت)؛ فقال له ﷺ: لا، قل: وبنبيك الذي أرسلت.

وعندما نسمع ذلك أو نقرأه،ربما نقول كلمة رسول أشمل، لكن حضرة النبي يقول لا، ليعلّمنا أن لا نجتهد في الدعاء الوارد فهي أدوية لأدواء تتناولها كما وصف الطبيب الأعظم الذى علمه مولاه، فلو أن مِفْتاح الباب فيه خلل في سنة واحدة، هل يفتح! لا، كذلك الأدعية! إذا أبدلت كلمة ! كأنك غيرت سنةً في المفتاح، وهذه هي مفاتح الفتح التي أعطاها له وسلمها له الكريم الفتاح ﷻ .

ذكر لا إله إلا الله

ومن ذكر الله ﷻ كذلك لا إله إلا الله، قال سيدنا موسي : { يـارب خـصني بشيء أذكرك به دون خلقك قال قل لا إله إلا الله، قال يارب كل خلقك يقولون لا إله إلا الله، وأريد أن تخصني بشيء دون خلقك، فقال الله يا موسي لو كانـت السموات والأراضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت كفة لا إله إلا الله}[٨٦]، فكلمة لا إله إلا الله أغلي وأعلي من السموات والأرض ومن فيهن، قال ﷺ:

{ أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[٨٧]

فإن قلنا لا إله إلا الله فبها ونعمت، وإن قلنا الحي! يصح، والقيوم! يصح فإذا ذكرنا الله بلا إله إلا الله فإنه ذكر، وإذا ذكرنا الإسم الجامع" الله " فغاية الذكر، وإذا ذكرنا بأي وصف لله من الكتاب أو السنة فإنها كلها ... ذكر .. [١١٠الاسراء]:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

الصلاة على رسول الله ﷺ

ومن ذكر الله الموصل كذلك .... الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، من الذي أمرنا بالصلاة عليه؟ الله .... ، ولم أمرنا ﷻ بالصـــــلاة عليه؟ بين لنـا الله تعالى أن الصلاة عليه ﷺ ليس معناها احتياجه إليها ....:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [٥٦الأحزاب]

عندما يصلي الله وملائكته عليه هل يحتاج شيء من أي أحد آخر؟ لا فـنحن المحتاجون!كيف نصلي يارسول الله ؟ أنكثر من الصلاة عليك؟، قال الحبيب الأعظم :

---

[٨٦] كتر العمال للمتقي الهندى.
[٨٧] اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الأربعين عن عليّ رضيَ اللّهُ عنهُ. (جامع الأحاديث والمراسيل)

{ أكثروا من الصلاة عليّ فإنها نوركم علي الصراط يوم القيامة}[٨٨]

النجوم تخسف والشمس تكسف وكل شيء سينتهي والنور هناك سيكون:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [٤٠النور]

نور الأعمال الصالحات، هو ما سيأتيك هناك وهو الذي سيؤنسك في القبر أما الصلاة على النبى فهى من أعظم الأنوار يوم القيامة وهى التى ستنير لـــك جـــسور الصراط وتجعل مع المؤمنين قوة ربانية يعبرون بها هـــذه الجـــسور، كمـــرور الـــبرق الخاطف، أو مثل الريح السريعة، ومنهم من يمر عليها مثل الخيل، ومنهم من يمر عليها ماشياً، والذي يضئ لهؤلاء جميعاً هو نور الصلاة علي رسول الله ﷺ.

والصلاة على النبي هي مفتاح شفاعته ، كيف ندخل الجنة؟ قال الرسول ﷺ: { مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَـالَ: وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِـهِ } [٨٩]، إذن كيف سندخل؟ ندخل بشفاعة رسول الله، كيف نأخذ هذه الشفاعة؟ بشيء سهل يسير ! قال فيه ﷺ واسمعـــوا الحـــديث واعملوا به، المهم المواظبة والمدوامة والتفكر والإستحضار ليمون الحضور إنشاء الله:

{ مَنْ صَلّى عَليَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً، وحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ} [٩٠] {إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ}[٩١]

وقد قال سلفنا الصالح:إن علي المؤذن بعد أن ينتهي مـــن الآذان، أن يـــصلي

---

[٨٨] كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى

[٨٩] (طب) عن أُسامةَ بن شريكٍ رضَيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل)

[٩٠] عن أبي الدرداء رواه الطبراني بإسنادين

[٩١] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ صحيح مسلم

علي النبي من أجل أن يذكر الحاضرين والسامعين أن ينفذوا السنة التي أمر بها سيد الأولين والآخرين، ولذلك قال الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه : { **ينبغي ويجب علي المؤذن بعد انتهاء الأذان أن يقول علي الأقل وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم** } ، وآخر ما نختم به من فضل الصلاة على النبي ﷺ، هو الحديث المانع الجامع فى بركة الصلاة على النبى وفضلها لو شغل العبد بها وقته كله :

{كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ قَالَ : مَا شِئْتَ، قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِن زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قُلْتُ: فَالنصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتي كُلَّهَا، قَالَ: إِذاً تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ } [٩٢]

الغاية من تزكية أو جهاد النفس

من يزكى نفسه، هو من يجاهدها ليبلغ الكمالات في الخصال الإلهية، والأوصاف النبوية هم القوم الذين عشقوا كمالات الله، وهاموا في أوصاف حبيب الله ومصطفاه، وأرادوا أن يكمِّلوا أنفسهم بهذه الخصال وهذه الأوصاف، ولذلك، فجهاد النفس، ميدانه الأساسي ليس العبادات، ولا المكابدات، ولا كثرة الأذكار، ولا ترداد آيات كتاب الله ﷻ ، وإنما أساس الجهاد هو التخلِّي والتحلِّي، التخلِّي عن الأوصاف المذمومة، والتحلِّي بالأوصاف الحميدة.

وهذا هو مجمل التزكية أو الجهاد، ومن لم يفهم هذه الحقيقة تاه في بادية

[٩٢] عن أُبي بن كعب ﷺ جامع المسانيد والمراسيل، حم وعبد بن حميد وابن منيع حسنٌ، والرُّوياني ك، هب، ص

الإلحاد!، ولم يصل وإن فني عمره في الجهاد إلي المراد.

لأن الجهاد مجمله " التحلي بالتخلي بعد محوي لمحلي "، أن يفهم الإنسان ويعتقد ويعقد عزيمته علي أن يبلغ مراتب القرب وليصل إلى الكمالات، والكمالات هنا هي التجمل بأوصاف حبيب الله ومصطفاه، و التخلق بأخلاق الله.

ولا يمكن له أن يتحلي بهذه الكمالات، ويتحقق بهذه الكمالات، إلا إذا تخلي عن فطره المهملات، وأخلاقه التي لا تليق بهذه الكمالات، وعاداته التي ليست علي نهج سيد السادات ﷺ..

أولاً: التخلق بإخلاق رسول الله ﷺ

فلابد أن يجاهد الإنسان نفوسه ليتخلي الإنسان عن هذه الأشياء يتخلي عن عاداته؛ ليتجمل بعادات سيد الأولين والآخرين ....

ومن هنا كان جهاد العارفين في البداية أن يقيم نفسه في مقام المجاهدة للتشبه برسول الله ﷺ،في مشيه وفي نومه وفي أكله وفي شربه وفي لبسه، وفي حديثه وفي كلامه وفي إقباله علي الخلق، وفي معاملته للمعرضين وفي تودده للمقربين، وكانوا يحرصون كل الحرص علي أن يتشبهوا تشبها كاملا بسيد الأولين والآخرين في هذه الأبواب، وغيرها من التي لا يتسع الوقت لذكرها.

كان رسول الله ﷺ ينام علي جنبه الأيمن ...فيحكم علي نفسه أن تنام علي الجانب الأيمن، وإن اعترضت وتملصت، يظل يجاهدها حتي تنطبع علي هذه العادة المحمدية .....حتي تصير لا ترتاح ....إلا إذا نامت علي الجانب الأيمن ....لماذا ؟ .. تشبها برسول الله ﷺ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

رسول الله كان إذا نام علي جنبه الأيمن ينام علي وضوء ويقول ﷺ :

{ إذا نام العبد علي طهارةٍ، رُفعت روحه إلي العرش }[٩٣]

ويستغفر الله.ثم يتلو آيات من كتاب الله : وهي آية الكرسي، وأواخر سورة البقرة، وسورة الإخلاص، و المعوذّتين، ثم لا يزال يذكر الله ﷻ حتي تنام عيناه ، والسالك المجاهد لنفسه في طريق الله والطالب لأنسه ...لا ينام إلا إذا طبقَّ هذه السنَّة الواردة عن سيد الأنام ﷺ، ومن شدة محافظته علي هذه السنَّة ينال وراثة " تنام عيني وقلبي لا ينام "، فالوراثة تأتي من شدة المحافظة علي السنَّة .... فكلما حافظت علي السنن النبوية، ورثت المقام العالي عن خير البرية في هذا الباب .

ولذلك وجدنا جلَّ إهتمام أئمة الصالحين، بجانب عظيم من جوانب سيد الأولين والآخرينﷺ، فلم يهتموا بغزواته وحروبه، وإنما اهتموا بشمائله وأوصافه، وكان كل ما يهتمون به كتب تسمي: كتب الشمائل، وهي عن الأوصاف الذاتية المحمدية. (الشمائل للحكيم الترمذى)، وله شروح كثيرة، وكتاب(المواهب اللدنية)، وشرحه فيه استفاضة واسعة، وكتاب (الشفا للقاضي العياض)، ولنا كتبنا (حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق) و (الكمالات المحمدية) و(الرحمة المهداة) .

فكانوا يهتمون بهذه الشمائل المحمدية، لينطبعوا علي هذه الأوصاف الكمالية، لأنها هي مجاهدات العارفين.... فقد قيل لسيدي أبي يزيد البسطامى ﷺ: إن فلاناً يطير في الهواء .فقال: ما زاد عن طائر. وقيل له: إن فلاناً يمشي علي الماء، فقال: الأسماك تفعل أكثر من ذلك!!، وقيل له: إن فلاناً يقطع ما بين المشرق والمغرب في لحظة . فقال: إبليس يفعل ذلك!، فقيل له: وما الكرامة إذن ؟، فقال :

{ ليست الكرامة أن تطير في الهواء ولا أن تمشي علي الماء ولا أن تقطع ما بين المشرق والمغرب في لحظة، ولكن الكرامة أن تغير خُلقا سيئا فيك بخُلق حسن }

[٩٣] أخرجه البخارى من حديث حذيفة ومسلم

وهذا حقيقة تزكية أو جهاد النفس عند الصالحين .

لأن الإنسان لو جاهد نفسه فيما ذكرناه في قيام الليل، وقام الليل كله من أوله إلي آخره ــ لمدة أربعين عاما ــ ولكنه لم يغير خلق البخل الذي يتصف به! إلي كرم سيد الأنام، فهل هذا جاهد نفسه؟ لا! بل إن جهادها في التخلي عن الأوصاف المذمومة، والتحلي بالأخلاق المحمودة، فإنه يتخلي عن عاداته، ليتجمل بعادات سيد الأولين والآخرين ﷺ.عاداته في الطعام، والشراب، والأكل، وما شابه ذلك، وكما سبق فى الذكر وقلنا هذه العادات، جمعتها كتب اليوم والليلة مثل: عمل اليوم والليلة لإبن ماجه، وللترمذي، ولأبي داود، وأجمعها الأذكار للنووي ﷺ، لأن فيه العادات التي وصلت إلينا من السلف الصالح عن النبي المختار في كل الأطوار.

فإذا تخلي عن عاداته، وتجمل بعادات سيد الأولين والآخرينﷺ، تخلي عن أوصافه الذميمة، وأولها، وأخطرها : الجهل، والبخل، والأثرة، والأنانية، والشح، والغضب، والعجلة، والشره، وغيرها من الأوصاف التي نعى كتاب الله علي المتصفين بها، ونبه المؤمنين إلي أخطارها، وطلب منهم أن يتصفوا بأضدادها، بأن يتصف المرء : بالعلم، وبالحلم، وبالحكمة، وبالتواضع، وباللين، وهذه يا إخواني تحتاج إلي جهاد شديد ، لأن تغيير الخُلق أمرٌ يحتاج إلي عزيمة لا تلين، وإلي همة لا تستكين، وإلي أمل غال، وعالٍ، لا تغفل عنه النفس طرفة عين لأنه يريد تحقيق هذا الأمل .

ثانياً لتصحيح الوجهة وشحذ الهمة

قال الإمام أبو العزائم ﷺ :-

أبدا إلى هذا الجناب حنيني ... لا صبر لي حتى تراه عيوني

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه، يعلمنا في هذا البيت وما بعده، الوجهة التي يجب أن يكون عليها السالك في طريق الله ....من البدء إلى الختام.....، صحيح أننا كلنا، والحمد لله ....في البدء كان منهجنا، ما وضحه الإمام أبو العزائم في قوله :-

الحب مبدأنا والوجه قبلتنا ... والمصطفى قدوتي فاعلم مراقينا

لكن حدثت أمور، وتغيرت أحوال، فتغيرت معها وجهتنا، فأصبحنا كمن يتعلق بالسراب، ويظن أنه سيجد الماء ....!! في حين أن وجهته قد تغيرت !!!......والوجهة هي التي عليها المعوّل في طريق الله ﷻ.......فمن السالكين ..من يكون وجهته الله ....ومنهم من تكون وجهته الدنيا ..ويقبل على الصالحين : على أمل أن يحصل على الدنيا عن طريق الناس الطيبين الذين يمشون في رحاب الله ﷻ، ......ومنهم من يكون وجهته الدنيا، والظهور ...يعنى : يريد أن يكون رجلا مشهورا، مثل الشيخ أحمد البدوي والإمام الجيلانى، ويبقى له مريدون ..وأتباع ..، ويكتبوا عنه القصص والحكايات .

ولكلّ مُناه ....في حين أن هؤلاء الذين ذكرناهم، لم يخطر ببال واحد منهم الظهور والشهرة، أو أن يكتب واحدٌ عنهم حرفا، قليلا ..أو كثيرا .

وهناك وجهات كثيرة تنتاب السالكين، وتخطر على بالهم، وتمر على نفوسهم... في سيرهم وسلوكهم لله ﷻ.

والرجل هو الذي لا يتحوّل، ولا يتغير، ولا يتبدّل ...مهما تعرض له من متع، ومهما ألحت عليه الدنيا بالنعم ...وأغرته بالفتن .لأن مقصده الله ﷻ .

والذي يعرف مقصده ويحدد وجهته، فلا يوجد شئ في الوجود يستطيع أن يغيرّه أو يبدّله، لأنه واع لمراده وناصح لمقصده، ولا يريد أن يغير هذا القصد، وهذا ما أشار إليه الإمام أبو العزائم فيما ذكرنا من قوله.

الحنين، والشوق، والحب، والود، والغرام، ...لمن ؟ إما لله، وإما لسيدنا رسول الله ﷺ، وإما للسبب الذي يوصّلنا لله ولرسوله ....:فمرةً يوجهنا أبو العزائم إلى الله ؛ فيقول لنا محفّزا ...ومثيراً كوامن الشوق ..

لمن الحنين أحبتي ورفاقي ؟ ... هذا الحنين إلى الكريم الباقي

ومرةً.... يحولنا إلى رسول الله ؛ فيقول :-

هذا الحنين لمن أنا له صورة ... قد جُمّلت بمعالم الفتّاح

والصورة المجملة بمعالم الفتاح هي صورة سيدنا محمد ﷺ فدائما يحرك العارفون السالكين :...بالغرام، والود، والشوق، والهيام ...إلى الله ﷻ، وإلى رسوله ﷺ ، ولذلك فالمريد الصادق يحافظ على هذه الأحوال..فلا يحوّل وجهته ولاشوقه في يوم من الأيام ....: إلى الحصول على المال .....، أو يحوّل وجهته إلى طلب الأموال....، أو يجعل همّه كله في الحصول على المناصب الفانية ....، أو يجعل وقته كله للزوجة والأولاد...، أو لغرض من الأغراض التي تشتت شمل الإنسان ..... بعد أن كان مجموعا على الدّيان ﷻ.....لأن المعروف أن السالك قبل سلوكه وجهاده لنفسه .. يكون متشعب الهموم : همٌّ نحو الأولاد ...، وهمٌّ نحو الزوجة ...، وهمٌّ نحو اكتساب الأموال ...، وهمٌّ نحو الحصول على الجاه ....ولكن بمجرد دخوله الطريق.يستحضر في نفسه ما قاله أهل التحقيق:-

قد كان لي قبل أهواء مفرقة ... فاستجمعت مُذ رأتك العين أهوائى

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شُغلا بذكرك يا ديني ودنيائى

إذا كانت المصيبة الكبرى للذي لا يعرف الشوق والغرام للملك العلام ، فإن الذي عرف الله، ووحّده بالقصد ،... وبعدما وحَّد مطلوبه، رجع ثانية إلى أودية التفرقة...!!، تكون مصيبته أكبر..!!وتلك هي الطامة العظمى التي ترد السالكين، من أعلى مراتب القرب إلى أسفل أودية البعد – والعياذ بالله ﷻ، لأن الإمام أبا العزائم، يُعَرِّف السالك فيقول :

السالك من توحَّد مطلوبه، ورضي بما قدَّره محبوبه

أي لم يعد له مطلب إلا رضاء الله ﷻ... وما دام توحَّد مطلوبه : فلا بد أن يرضى بما قدَّره محبوبه، .....ولذلك وردت هذه القصة عن الإمام أبى العزائم فقد كان في زيارة للشندويلى باشا، وكان من شندويل ، وأثناء الزيارة، وقع بصر أحد

المريدين على بنت الشندويلى باشا، فأُعجب بها، وظل مشغولا بها، حتى تمكنت صورتها من نفسه، فافتتن بها، وتغير حاله، وتبدّل شأنه. لأنه غيَّر وجهته، فلما لاحظ الشيخ ما ظهر عليه، دعاه وسأله عما به، ورغم ما به ؛ إلا أنهم كانوا صادقين ....، فلا يكذبون على الشيخ ــ لأن الكذب على الشيخ كذب على الله ورسوله ــ ومن كذب على الأشياخ : لا يُفلح في طريق القوم أبدا ؛ ولو كان الكذب بحجة صوّرتها له نفسه، أو دعوة قدمتها له نفسه، لأن هذا لا يجب مع الله ﷻ، ومع رسوله، ومع الصالحين من رجال الله فكيف يكونوا مع الصالحين، ويكذبون عليهم في مواجهتهم!

فأخبره بحاله، فطلب الشيخ من الباشا أن يزوج ابنته من هذا الرجل، فأسرع الباشا في تنفيذ الأمر، وتم العقد، وأخذ المريد محبوبته إلى مخدعها فى ليلة العرس، وتمَّ الزواج، وفى الصباحية وجدها قد فارقت الحياة الدنيا!، فتبدل حاله وأسرع إلى الشيخ مهموما مغموما، وقال له: فلانة ماتت؛ فقال له الشيخ: فابقَ معها حتى آتى لكما، وتباطئ الشيخ في الذهاب، وعندما ذهب وجده خارج الغرفة، فقال له: لم تركتها وحيدة في الحجرة !، ولم تجلس معها ؟ فقال له : إنها ماتت ، فقال له : لكن الوفاء أن تجلس معها، وهى ميتة !! أليست هذه هي التي ملكت عليك مشاعرك، واستولت على لُبّك وقلبك ؟، ثم لطمه على وجهه ليفيق ، وقال له :

يا بُنى فتّش عن محبوبك، واختر لك محبوبا لا يموت ولا يفوت.

فالسالك لا محبوب له إلا الله ...، ولا مقصد له إلا الله.، وإذا تزوج ؛ فإنما يبغى بذلك زوجة صالحة تعينه على الوصول إلى خالق نفسه .. حتى لا ينظر إلى هذه أوتلك، وإذا سعى للأرزاق؛ فسعيه حتى يكفّ نفسه عن سؤال الناس، ويتفرغ لله ﷻ، وليس لكي يجمع المال الذي يبنى به عمارات أويشترى به سيارات، لأن هذا ليس شغله ، وإذا رزقه الله بالأولاد؛.قام بهم كما كلّفه رب العباد ؛ تنفيذا للتكليف الذي قال الله فيه [٦التحريم]:

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾

فلا يشتغل بهم بالكلية، ولا ينصرف إليهم عن الله ....وإنما همّه كلـــه إلى الله ﷻ ،..... عملا بقول الله ﷻ :

﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [٩ المنافقون].

وكلما أرادوا أن يشغلوه بمطالبهم، وأحبوا أن يستعبدوه بمشاغلهم، وكلّمـــا همّ النفس أن تستجيب فتنشغل عن الوجهة الصادقة أو تكسل أو تقعد، أو تتـــوانى، أو تقصّر، أو تغفل، يقول لها السالك.إلى أين وصلت في طريق الله ؟!! وماذا حققت من الهدف الذي تضعينه نصب عينيك...؟!!

هذا الهدف الذى أشار إليه سيدي عمر بن الفارض ﷺ، في قوله:

جمالكم نُصْب عينى ... إليه وجهت كلى

فهو متوجه بالكلية إلى الله ﷻ ، ولذا فلا يصغى لخواطر النفس التي تمنعـــه، وتحجبه، وتشتت شمله..!، لأنه يريد أن يُجمع على الجامع ﷻ، فإن المريد إذا ركـــن لهذه الخواطر، وتركها تتحرك في نفسه، انفعل بها، وتأثّر بها فوقع ،..... ولو بـــدون قصد : في أوحال التوحيد والعياذ بالله، فلا يستطيعُ أن يكمل مشوار الـــسفرإلى الله، إلا إذا قيّض الله له مَنْ يخرجه من هذه الوحلة.....!!

لأن أكبر وحلة ...توحل المريد ؛ أن ينصرف عن قصده، أو تتغير وجهته، أو تضيع همته في الله ولله ﷻ .....ولذلك فالذين وصلوا واتصلوا ، بم وصلوا واتصلوا ؟.باليقظة الدائمة لهمم النفس ...، وخواطرها ....، وبواعثها ..فإذا كانت الخـــواطرُ تعينهم على قصدهم، وعلى تحقيق مطلوبهم : فرحوا بها وهشّوا وبشّوا لها.

وإذا كانت الخواطر تؤدى إلى تفرقة شملـــهم، وإلى الـــذهاب بجمعهـــم، وإلى صدّهم وإبعادهم عن محبوبهم، ضربوا بها عرض الحائط، وانطلقوا إلى الله ﷻ فرارا :

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٥٠الذاريات].

وكلمة "فَرّ" : .. تعنى أن الأشياء التي يتعرض لها السالك ليست سـهلة .!! لأنها تحتاج منه إلى الفرار، فإذا سكت عنها لحظة احتوشته وسيطرت عليه، فيـصبح عبدا للهوى أو للحظّ أو للشهوة أو للحرص..، أو عبدا للطمع.أو للزوجـة..، أو عبدا للولد.أو للجشع...ولا تصلح العبودية لله ...... إلا إذا كنت حرا مما سواه.

ولذلك نقول أن من أوائل أغراض جهاد النفس أيضاً .. أن يؤتيه الله تعـالى حكم مملكة نفسه .... كيف ذلك ؟

ثالثاً أن يصير حاكما على مملكة نفسه لا عبداً في بلاطها

إن أدعية الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم , هي الباب الذي نستمد منـه الأدب العالي في معاملة الله ﷻ ... وأسرار تعاملهم مع مولاهم، وكذلك على هـذا النهج : الأدعية الواردة عن الصالحين، في أحزابهم وأورادهم،.ولذلك فالإمـام أبـو العزائم ﷺ وأرضاه، وضَّح هذه الحقيقة ....فقال :-

وفى دعائي جمـال ... يـلوح للـفتـيان

ودعاء الصالحين فيه جمال روحاني، لا يلوح ويظهر إلا لمن وصل لمقام الفتوة ، العالى، ولذلك عندما تنظر إلى دعاء سيدنا إبراهيم في قوله تعالى [٨٣-٨٩الشعراء]:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

نجده يشتمل على علم راقٍ، ليس علم إطلاع، ولكنه علم بالله . .....فقد بلغ

الأنبياء ـــ عليهم صلوات الله وسلامه ـــ الغاية في العلم بالله ﷻ .... فالعلم بأحكام الله، والعلم بشرع الله ..:ربما يكون أعداء الله أفقه فيه من أهل الله . لكن العلم بالله، كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:-

فالعلم بالله العلى غوامض ... لا يفقه إلا لصّب في اصطلام

فالعلم بالله ﷻ غامض، لا يلوح أو يظهر إلا ... لمن صفا قلبه لله من كل مظهر، فسيدنا إبراهيم افتتح الدعاء هنا بقوله :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾.

فأول طلب يطلبه من الله ﷻ، أن يهب الله ﷻ له الحكم .. ..ما الحكم الذي يطلبه ؟ .....الذي يسمع الآية، وليس من أهل العناية : يعتقد أنه يريد المُلك، أي يريد أن يكون ملكاً، أو زعيماً، أو رئيس جمهورية ،... لكنه عليه السلام لم يكن يرد كل ذلك .... بل كل ما يطلبه : أن يكون ملكا على المملكة الخاصة التي ملَّكها له الله ﷻ، وهى مملكة الإنسان التي يقول فيها الإمام على ﷺ:

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر ؟

فالإنسان : هو الأكوان بما فيه من حقائق استودعها فيه الرحمن ﷻ، فهو كون صغير، والكون إنسان كبير، فإذا أحب الله عبدا واستوى هذا العبد في مقام السير والسلوك إلى مولاه أعطاه الله ﷻ حكم نفسه [١٤القصص].:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

والعلم الإلهامي لا يأتي إلا بعد أن يتولى المرء حكم نفسه، فالذي يريد العلم الإلهامي، لا بد أن يتمكن أولا من حكم مملكته، فيصير لا يتصرف فيها على حسب هواه، ولكن يحكمها بما يريده الله، وليس للمرء في هذا المقام هوى مع مولاه ﷻ .

وبعد الحكم يعطيه الله العلم ..﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

إذن فالحكم أولاً ، لأنه لو أعطاه العلم الإلهامي الوهبي ....، من غير حكم

نفســه — والنفس بطبعها تحب الظهور — فستُظْهر... ولو لمن لـيس أهـلا لهـذا العلم!، جواهر هذا العلم..! وتلك خيانة عظمى عند الله ﷻ ، يُجازى صاحبها بأن تقطع رقبته في دائرة الوصول .....!!!فلا يسمح له بالقبول قط عنـد الله ﷻ.، وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ :-

احفظن سّرى فسّرى لا يُباح .. من يبح بالسـر بعد العلم طاح

علمنا فوق العقول مكانـة ... كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح

خصّنا بالفضل فيه ربنـا ... ذاك سّـر غامض كيف يبـاح

فالذي يوليه الله ﷻ حكم نفسه، يفضل الحبس والسجن علـى أن يبيح بسر ...لمن ليس أهله، كما قال سيدنا يوسف عليه السلام [٣٣يوسف].:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾

ففضل السجن على الإباحة بالأسرار ...... مع أنه لو باح لهم بهذه الأسـرار لرفعوا شأنه..، وولّوه منصبا رفيعا لديهم..، ولم يدخلوه السجن..... لكنه كتم هذه الأسرار في صدره، ولم يبحها لهم، وقد فعل ذلك أيضا سيدنا موسى عليه السـلام، حين قال ..﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِى ﴾ أي مما فيه من علوم الله، وأسرار الله، وكثرتهـا، وتنوعها ..﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ [١٣الشعراء] ..أي إلا إلى إخواني الذين تتحمل قلوبهم هذه العلوم والمعاني.

لكنه لو جلس في الملأ، ماتت في نفسه شهوة الكلام، والرغبة في التعظيم، فلا يتحدث ليشار إليه بالبنان، أو ليعظمه إنسان، أو ليحصل شيئا من عالم الأكوان، لكنه لا يتحدث إلا إذا فتح الفتاح برزق صرفه الله ﷻ من كنز قلبه، لمن هو مراد لربـه ﷻ، فكأن المعاني التي في قلب العارف : أمانةٌ إلهية ،.... وكما أن قلبه كـنز لهـذه المعاني والمعارف الربانية، ولا يصرف منها إلا بتصريح صحيح تراه عين قلبه من رب البرية، فلو جلس معه علماء الوجود، وليس معهم تصريح مـن الله ﷻ ينبـئ عـن استعداد قلوبهم لتلقى هذا العلم، فلا يخرج منه ولو كلمة واحدة، حتى ولو طـالوه

بألسنتهم أو اغتابوه ببيانهم ، لأنه لا يطلب بعلمه إلا وجه الله ﷻ.، فأول مطلب طلبه سيدنا إبراهيم ...هو مطلب كُمّل العارفين والصادقين من المريدين .

فأول مقصد أضع عيني عليه في طريق الله ﷻ ،.... لكي أصل إلى مراد الله أن يملكني الله ﷻ نفسي ...، ولا يجعلها تملكني، فتصرفني على حسب أهوائها، وأغراضها، وشهواتها، وحظوظها ...وما أكثرها في هذه الحياة، وكل ما يتفضل الله ﷻ به على العارفين، من أصناف الكرامات ..والعلوم ..والهبات ، إنما هو نتيجة إلهية، وأثار ربانية ...لسيطرتهم على مملكة النفس، فعندما رؤى رجل من العارفين ..يطير في الهواء، وقيل له : بما نلت هذه المترلة ؟ قال لهم :

وضعت هواي تحت قدمي ...، فسخّر الله ﷻ لي الهواء.

فهمة المريد الصادق .أن يحكمَ نفسه ... وإذا كان له همّة غير هذه :فهي من النفس، أي فهي شهوة من شهوات النفس ..

وهل هناك مريدون.لهم همّةٌ غير هذه؟أو غرض دان من جهادهم لأنفسهم .!؟ نعم.! هناك بعض المريدين ..يريد أن يفتح الله ﷻ عليه بالمعاني ليجذب السامعين، ولو لم يكونوا من أهل القرب والتداني .. ومنهم من يريد أن تظهر على يديه الكرامات، ويشار إليه بالبنان، على أن هذا من الصالحين ، وهناك من يريد عمل ضريح ليدفن فيه، ويتردد عليه فيه الناس بعد موته !! ..وبعد موتك، بماذا يفيدك الناس ؟ وبماذا تستفيد بهم ؟ ومنهم من يريد من الناس تقبيل يديه ... وأن يعترفوا له بالفضل عليهم ...، ويذكرون ذلك في مجالسهم، وتسرّ الأذن بسماع ذلك .. وغير ذلك مما تطلبه النفس ...،.....ويتمناه الهوى .

لكن المريد الصادق هو الذي يفقه كلام أبي الأنبياء والمرسلين عندما بدأ دعاءه بقوله ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

أي أعطني حكم نفسي ..لألحق بالصالحين ، من هم الصالحون ؟

كلمة الصالح : أي الذي صَلُح لله ﷻ فقد صلح قلبه لنزول أنوار الله وصلح

سره لرؤية سيدنا ومولانا رسول الله ،وصلحت روحه لنيل المطالب العالية : من الأنس .. واللطف .. والودّ من حضرة الله، وصلح جسمه لطاعة الله في ظاهره وباطنه... وفى سرّه وعلانيته.. فأصبح كله صالحا لله ﷻ، ومرتبة الصالحين مرتبة عالية، ولذلك جعلها سيدنا إبراهيم مطمح أمله وغاية مُناه . فغاية مُنى العبد الصادق مع مولاه ..أن يلحقه الله بالصالحين : بأن يجعله الله على آثارهم، لأن الله ﷻ، لا يُجمِّل بأخلاق الصالحين، ولا بأحوال الصالحين.....: إلا من أحبه واصطفاه لذاته ﷻ ، وهذا يا إخوانى لا يتحقق إلا بالجهاد الفادح للنفس.

رابعاً : للرجوع للأصل والوطن الأول

أن أهل ألاصطفاء هم الذين تفضل عليهم المتفضل فى الأزل القديم بقلب سليم وروح من نور الحبيب الأعظم الذى هو من نور الله، وأكرمهم الله ﷻ قبل التكوين وقبل إيجاد الجسم فى عالم الدنيا بروحانيات عالية ومقامات راقية وأسرار غالية فكانوا بالحق! للحق مشاهدون!، وبسمع من اسمه ﷻ السميع! لحضرته سبحانه مستمعون!، وبسر المتكلم! الذى انبلج على ألسنتهم لحضرته ﷻ مخاطبون !.وقد شاهدوا فى هذا الموقف العظيم كل النبيين والمرسلين، والملائكة المقربين، وأهل عالين وعليين، والأرواح النورانية التى ستظهر فى الحياة الدنيا إلى يوم الدين •

فكل الأولياءو الصالحين، وكل الصادقين، رأوهم رأى العين! واجتمعوا عليهم وحضروهم وجالسوهم وشافهوهم وشاهدوهم وحادثوهم فى هذا الموقف العظيم، ورأوا من الأنوار وكوشفوا من الحق ﷻ من الأسرار .... بما لا يستطيع أى إنسان أن يبيحه فى هذه الدار ..

إلا لقلوب صفت ووفت وارتقت وسمت إلى أفاق يقول فيها الفتاح ﷻ :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧ق)

وجاء التحقيق بعد خلق الأجسام!!.. وبعد خلق الجسم وظهور الحقائق العالية فيه، يحدث له لبس مما يراه الإنسان بعين الحس! ويسمعه بأذن الرأس! ويلمسه بحاسة اللمس الجسمانية!!! ... وفى ذلك يقول الله ﷻ :

﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٥ق)

فإذا انشغل الإنسان بهذه الأمور الجسمانية؛ أنتاب القلب اليقظ غفوة أو غفلة أو رقدة أو نومة أو جهالة... فيغيب عن هذه المشاهد والأحوال، وإن كان يشعر فى داخله بحنين إليها! ورغبة فى الوصول إليها! وشوق شديد فى الرجوع إليها! ... وهذه هى حالة المريد الذى اصطفاه الحق ﷻ ، وبشر به فى قرآنه الكريم وقال فيه وفينا أجمعين :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾(الحج)

إذاً فالمقصد والغاية هو الرجوع إلى الحال الأول الذى كان عليه العبد فى مواجهة حضرة الأول!! .. وما عليه فى سبيل ذلك إلا أن يزيل الغشاوة !! ويمحو الجهالة التى وقع فيها فى حياته الدنيا !! ليرجع إلى حاله الأول ... فيكشف الله عنه الحجاب وغطاء الحس الذى حجبه عن الأحباب

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ ق)

وكل ما يفعله العارفون، والحكماء، والربانيون، والأفراد الروحانيون، هو أنهم يطيبون القلوب .. حتى يزيلوا هذه الغشاوة من عين القلوب.. فتنظر بنظر الله !وتسمع بسمع الله! وترجع للحالة الروحانية التي كانت عليها فى البداية بين يدي الله ...فيتحقق فيهم قول الله ﷻ

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩الأعراف)

يقول الأمام أبو العزائم رضي الله عنه

أنت فى غربة فكــن كالغريــب فالمباني أواسط التحجيــب

بدء وطنى الفردوس ملكوت ربى بل وبدئى بدءاً جمال حبيبى

هذه هي بدايتك تريد أن ترجع لوطنك الأول .. الذى كانت فيه الـــروح فى هذا الجمال، وفى هذا الكمال، والحنين هنا لهذا المقام!، والشوق هنا لهذا الجمـــال.. الذى رأته الروح, والذي رآه القلب بعين البصيرة المضية:

أبداً تحنُّ قلوبنا وحنينها .... دومــــــاً لأول منزل

والحنين هنا للمنزل الأول الذى كانت تحيا فيه، وتنال فيه ما تشتهيه من الحياة الروحانية، والحياة القلبية الهنية مع الله ومع رسل الله وأنبياء الله ومـــع أصـــفياء الله، والمقربين من حضرة الله ،الذين سيظهرون إلى يوم الدين لأنهم جميعاً كـــانوا فى هـــذا المشهد حاضرين (١٧٢ الأعراف):

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾

يقـــــول الإمـــــام أبو العزائم رضي الله عنه

من ألست لم ننسَ ما قد شهدنا من جمال الجميــل إذ خاطبنـــا

كيف أنساك يا جميل و أنـــت عرش نور الأسماء نـــور المعـــنى

وهذا هو حنين العارفين، وشوق الصالحين.. وهو للجمال الذى لاح لأهـــل الكمال والوصال الذى ذاقوه !! ولم ينسوه!! وللعطاء الذى أخذوه !! وجعلـــه الله عز وجل مدخراً لهم فى أرواحهم !وفى قلوبهم! ولم يحجبهم عنه إلا هبوط الحواس الكونيـــة إلى الممارسات الدنيوية .. وإلى العناصر الطينية .. وإلى الشهوات الدنيـــة .. الـــتى

حجبتهم عن هذه المشاهد العلية .

جهاد النفس للرجوع للأصل النوراني الأول والوطن الأول، أساسه أن يجاهد السالك ليتخلص من أخلاق وعادات الأصل الطيني وحكم النفس وطباعها التي يبغضها الشرع، ويجمّل نفسه بالعادات والأخلاق التي كان عليها سيدنا رسول الله، وهذا هو الجهاد الشديد، لأنه سهل أن يصوم ويصلي، لا مشكلة في ذلك، واسمع لتقرير أبي هريرة مذيع الحضرة النبوية، في حكم النبي في إمرأتين والبون شاسع:

{ يقول قيل للنبي يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق وتؤذي جيرانها بلسانها فقال رسول الله لا خير فيها هي من أهل النار، وفلانة تصلى المكتوبة وتصدق بأثوار (أى بالقليل) ولا تؤذي أحدا فقال رسول الله هي من أهل الجنة.}[٩٤]

فالجهاد عند الصالحين، كيف يركب فرامل للسان.؟ ولا ينطق إلا بما يرضى الرحمن، ويركب سماعة على الآذان ؟فلا تسمع إلا : البرامج والكلمات التي يسمح بها الرحمن، وقد يسألني سائل يعني التليفزيون ....لا نشاهده ؟ لماذا لا ؟

الذى سيسمح به الرحمن ستراه برنامج ديني، برنامج علمي، برنامج ثقافي، تمثيلية إجتماعية، أخبار، رياضي، لكن الممنوع الفيديو كليب والرقص، وما شابهه ومناظر العرى، حتى لو أتت مثل المناظر الممنوعة في تمثيلية إجتماعية مفيدة فقد وجب غض البصر عنها، هذا موجود !، وهذا موجود! .. وبيدك الريموت!!

وهذا أساس المجاهدات، .وبعد ذلك يحاول أن يصفّي القلب ..وهذا جهاد آخر؟ لأنه لكي يظهر على الشاشة محطات البث لا بد أن يكون جهاز استقبالها مضبوطاً، فأنا أريد أن أري البث المحمدى، ويظهر عليها البث الملكوتي، ويظهر فيها برنامج ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [٥طه]، ويظهر فيها برنامج

[٩٤] الأدب المفرد البخاري، عن أبي هريرة رضى الله عنه

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [٦النمل]

أراه ...وهو يتلقى القرآن .وهذه برامج ...موجودةٌ ..!ومشهودة !.، ولكنها تبغى أنفساً عن الشهوات مفقودة، وبذكر الله ﷻ ..حياتها قائمة ومشهودة. وهذه لا بد لها من الجهاد لكى يصلح جهاز الإستقبال، فيستقبل هذه الإرسالات. وطبعا لن يقدر بمفرده، لازم مهندس خبير يقدر يوصّله لمحطات العلى الكبير.

وكلنا معنا هذه الأجهزة والحمد لله، ولكن هناك من ترك الجهاز حتى صدأ!، وجميع هذه الأجهزة قد جربت، لأن الحضرة الربانية أول ما صنعتها جربتها، ..... وكلنا أجمعون حضرنا ورأينا أول لقطة :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فتح الأجهزة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ سمعوا وشهدوا ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [١٧٢الأعراف].

فكلنا جُرِبَ البث عندنا، وثبتت صلاحية هذه الأجهزة، وكلنا مركبين الطبق، ولكنه الطبق النورانى الذى يستقبل من حضرة القرب والتدانى . إنه موجود معنا . ولكن الطبق فصل... لماذا؟ لسوء سلوك صاحبه، أو لوجود الأهواء والملذات.

إذن الأجهزة موجودة، ولكنها تحتاج لمعالجات، أو إصلاحات لتصبح الأنوار مشهودة، والتجليات ممدودة، والإنسان فى هناء، وفى بهاء، وجمال، وكمال ..مع الواحد المتعال ﷻ[١٢٨النحل].:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

معهم بالأنوار، والأسرار، والعلوم، والألطاف، والخفايا، وكل ما يحتاجه المرء... من عوامل الطهر، والبقاء، وهذا هو الجهاد الذى لا بد منه.

مثلا الذى عنده تليفزيون، ويريد منه أولاده أن يستقبل التليفزيون المحطات

الفضائية . فلا بد عليه أن :.يتحرك ويذهب للمهندس ويتفق معه لكي يركب الطبق ويستقبل...، ولكنه يسوف على أولاده، ويقول : حاضر ! حاضر ! ولا يتحـــرك . هل يستطيع أن يستقبل ؟..

كذلك الأمر :.لا بد أن يتحرك الإنسان فى طريق التزكية ، وكذلك نحن الآن معنا المحطات الأرضية ... ونأخذ أقاويل الخلق..، وأحداث وقصص الخلق ....، ومـــا يحدث بين الخلق ....، وهذا ما نحن مشغولون به!!!. لكن الذى يريد أن يسمع :

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٦٢آل عمران]

من الذى سيرويه ؟ الله .

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [٣يوسف]..

مـــن الـــذى يقــص هنـــا؟.الله، ســـيسمع القــصة مـــن حـــضرة الله ﷻ.سيسمعها..ويراها.كما حكى الله تعالى لحبيبه ﷺ قائلاً له ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [١الفيل]، ألم ترَ !، ولـــيس.ألم تـــسمع! ، ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [٢:٣الفيل].

كل هذا رآه ﷺ.، رأى المشهد، واسمع للحــق ثانيـــة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [٤٥، ٤٦الفرقان]، .....فيهمسه الله يبارك وتعالى بالكلمات ..ويمتع قلبه بالمشاهدات..، هذه مرتبطة بهذه...، وهذه أعـــلام وأنـــوار العنايات. هذا كله كيف يأتى؟ ويكون للك وراثـــة نبويـــة مـــن هـــذه الأحـــوال والمشاهدات .. والحكايات ... كيف؟

لابد أن تعيد أجهزتك إلى حالتها الأولى أى بحالة خروجها من المصنع النورانى الأول، يجب أن أشغل الأجهزة المجهزة لهذه الحالة...، وهـــى موجـــودة بـــداخلى ؟ فمثلما توجد عين أرى بها الأكوان!، فيَّ عين أرى بها غيب الرحمن!، موجودة فيَّ بهـــا

أرى الملائكة.و الجن.و الجنة..، وأرى بها العرش والكرسى، وقال فيها ربنا :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [٤٦الحج]

وماذا قال على الكفار [١٧٩الأعراف] ؟.

﴿ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾

هذه الأجهزة عندهم معطلة، وغير قابلة للإصلاح، خرجت أصلاً معيوبة..!. لكن الأجهزة الخاصة بنا : المصنع جربها، ورأت وسمعت، ولكن كل المطلــوب..... تصليح الاعطال، لتعود الأجهزة إلى عهدها الأول وسيرتها الأولى ، أى بلغة العـــصر إصلاح وصيانة ! لازم الإصلاح أولا، ثم بعد ذلك الصيانة الدورية . إذن الإصـــلاح أولا فتدخل الورشة المحمدية، لكي تتجهز للمشاهدات الإيقانية، التى يقول فيها الله :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ .ستشاهدون ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ سترى هذا كله، ويسأل الناس بعد ذلك ..﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [٥:٨التكاثر].

يقولون لكم : صفوا الجنة التى رأيتموها!!. يا حارثة !!.. فلنسمع الحديث :

{ أَنّ النّبِيّ ﷺ قَالَ لِحَارِثَةَ بن النُّعْمَانِ ﷺ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقّاً، قَالَ: إِنّ لِكُل حَق حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ ــ هذا هو الجهاد ــ فَقَالَ: يَا نَبِيّ اللّهِ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدّنْيَا ــ وهذا أول بند فى التزكية ــ ، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي ــ وليس فى الوسن ــ ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَني أَنْظُرُ إِلى أَهْلِ الْجَنّةِ كَيْفَ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَإِلى أَهْلِ النّارِ كَيْفَ يَتَعَاوَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: أَبْصَرْتَ فَالْزَمْ، ثُمّ قَالَ: عَبْدٌ نَوّرَ اللّهُ

الإِيمانَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَدَعَا لَهُ، قَالَ: فَنُودِيَ يَوْمَاً: يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي، فَكَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ رَكِبَ، وَأَوَّلَ فَارِسٍ اسْتُشْهِدَ } [95]

خامساً: ليبلغ مراتب القرب

وأمل الإنسان الصالح أن يكون :

﴿. مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٦٩النساء]

وإذا كان أمله أعظم يطمع أن يكون مع :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح]

وهذه معية خاصة، أما الأخرى فمعية عامة لكل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . لكن هذه معية خاصة "والذين معه" ، أما إذا كان يريد أن يكون في معية الذات الإلهية [النحل]:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

أو في مقام أعظم ، وهو مقام العندية :

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر]

وهذه مقامات سامية، ومنازل راقية ، وشرح هذه المقامات لا ينبغي أن يكون بالعبارات، أو بالكلمات ....، وإنما بالمشاهدات، والتجليات لأهل القلوب النيرات .

---

[95] عن أنس ﷺ، العسكري في الأمثال، جامع المسانيد والمراسيل

وأعظم هذه المقامات الإلهية [النمل].:

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾

وهذا مقام خاص برسول الله، ويعطيه الله أيضا بالفضل لعباد الله [٦٥الكهف]:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

وهو مقام اللدنية ...، فمقام المعية ....، ومقام العندية ....، ومقام اللدنية ، مقامات إلهية رضوانية.... تحتاج إلي همة عظيمة في النفس الإنسانية , تجعل الإنسان ينشغل بالكلية بهذه الكمالات , وهذه الجمالات، ويود أن يتصف بها ليكون من أهلها....ويرث المقام المذكور بشأنها في كتاب الله.... فيتجمل بأنوارها، ويتحلي بجمالها، ويشهد مشاهداتها.... فإن التخلّي، بعده التحلّي، وبعده التجلّي، وبعده التملّي، وهذه مراتب القرب : يتخلّي ....ثم يتحلّي.... فإذا تحلي بأوصاف الحبيب ﷺ، تجلي الله له ...بكمالاته، وعظمة ذاته، ثم يتملي ...فيشاهد ما غاب عن العيون، مما لا يراه إلا خاصة المقربون :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ [التكاثر].

إذن ميدان جهاد النفس يا إخواني ...، هو كما قلت لطالب الوصول، ولطالب القرب، وللراغب في المقامات العلية :... جهاد في التخلي عن عاداته النفسية، والتجمل بعادات سيد البرية المذكورة في سيرته في الأحاديث المروية، ثم يتخلي عن أخلاقه البشرية التي يتحكم فيها الطبع ،والجسم ليتخلق بأخلاق رب البرية، وقد أوجد الله الإنسان عليها. إنه كان قبل البيان وقبل الجنان ظلوما جهولا.

وعندما يجاهد نفسه يبدل الظلم بالعدل والجهل بالعلم والنور .

سادساً: للتخلق بأخلاق الله

وهناك جهاد للقلب .. فبعد الانتهاء من النفس ..نتحدث عن أحوال القلب وجهاده،كيف يدخل الإنسان علي مولاه، وهو لم يتجمَّل بالجمال الـــذي يحبـــه الله ويرضاه! والله لا يحب إلا الجمال الذي ذكره، وأثني عليه لأهل الكمال، وقـــال في شأنه لأهل الوصال [١٩٩الأعراف]:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾

فثمرة الجهاد..... هو التخلق بأخلاق كتاب الله ، وكان ﷺ خلقه القرآن .

الجهاد للتخلق ..لذلك بعض سلفنا الصالح ﷺ كانوا يعطون مريديهم بعض الأسماء الحسني الإلهية، ليذكروا بها الله، مثل اسم القهار، أو القيـــوم، أو الحـــي، أو غيرها، فالإمام أبو العزائم ﷺوأرضاه، بيَّن لنا البيان الشافي، واختصر لنا الطريـــق في هذا الأمر، فبيَّن ﷺ أن الأسماء الحسنى الإلهية للتخلق، واسم الله ﷻ للتعلـــق ، أي لابد أن أتخلق أولاً بأسماء الله الحسني....، ثم بعد ذلك : اذكـــر اســـم الله المنفـــرد بالجمال والكمال، تعلقاً بحضرته، لكن اذكر اسم الله.وأنا لم أتخلـــق بـــأخلاق الله !! كيف يكون ذلك...؟ لا يجوز ذلك .. فلابد أن أتخلق أولا بأخلاق الله :

تخلق بأخلاق الإله وحافظن ... علي منهج المختار في العقد تنسق

ومثال ذلك،.إذا ذكر إنسانٌ اسم الله العفو، وقال :يا عفو – مائة ألف مرة – وهو بطبيعته، ليس عنده عفْو لمن ظلمه..... فما الذي عاد عليه من ذكر الله باســـم العفو !!! ؟ لاشيء لأن ذكر الله باسمه العفو : ...هو أن أعفو عمن ظلمني.

وكذلك حقيقة ذكر الله ﷻ باسمه الحي : ثمرته، أن يحي القلوب التي تجالسني، وأجالسها، وتؤنسني، وأؤنسها .....فكل من يجالسني يحدث له حياة،....وقلبه يحـــي بالله وبذكر الله...، لكن عندما أذكر الله باسمه الحي، وأنا جالس مع أموات.... ليس لهم ذكر بالله...، وذكرهم في الشهوات، والحظوظ، والأهواء، والملذات، والريالات،

والدولارات، والعقارات، وغيرها ،.... فأين ذكر الله هنا !! ؟

وهكذا .....فذكر الله في هذا المقام التخلق بأخلاق الله مع عباد الله.... حتي يذكرني الله بالكيفية التي بها أتخلق بهذا الإسم مع حضرة الله جلَ في علاه .

وهذا هو طور الجهاد المقرب لمنازل القرب والوداد ...، وهذا يستطيع الإنسان أن يقطعه في نفَس ....، وقد يمكث الإنسان سنين عدة ......، ولا يستطيع أن يُغيِّر خُلقا من أخلاقه .....لأن هذا يحتاج إلي همة وعزيمة..... والباعث الذي يبعث الإنسان علي هذه الأحوال، هو التعلق بهذه الكمالات، والرغبة في هذه المواجهات، فإن الله ﷻ كما قال ﷺ:

{ إن الله يحب مِن خَلقه مَن كان علي خُلقه }[٩٦]

ولم يقل من يطيل القيام، أو يطيل الصيام، أو يطيل الذكر، أو غيره من العبادات، فكل هذه الوسائل معينةُ علي بلوغ هذا المراد .. لكن الذي يريد أن يصل إلي المراد ....فباب الجهاد هو الذي بَيَّناه ، وهذه هي ميادين الجهاد يا إخواني ،فلا يأتني أحدكم ويقول: لي عشرون سنة ولم يفتح علي بشيء، ولكن انظر إلي لوحة المفاتيح التي عندك، هل غيرت فيها..في أخلاقك لتحظي بوفاقك.،ليتجلي عليك هذا الإسم، وتنال نصيبك من ميراث هذا الخلق.وجميع المقامات في هذه المجاهدات

والذي جعل معظم الناس قديما وحديثا ...يقعون في اللبس ...، هو اهتمامهم : بالوسائل المعينة ...، وجعلوها غاية المراد، ....فالعبادات، والأذكار : وسائلٌ تعين علي هذا الجهاد ، فلما اشتغلوا بهذه الوسائل، وتركوا أساس ميادين الجهاد،.لم ينالوا الفتح، والفتح و الفضل والإمداد وهى لمن استجاب وأناب :

﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [١٨ الرعد].

يبلغه الله ﷻ بالجهاد، والفضل، والجود، والإمداد...

(٩٦) رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن عمار بن ياسر : حسن الخلق خلق الله الأعظم.

سابعاً: لنوال الفتح النورانى

كما أن أهل الظاهر، لو تعكرت مظاهرهم، وتباطأت أرزاقهم، وانحرفت أمزجتهم، وسقمت أجسادهم ....

يكون ذلك بسبب عدم قيامهم التام بشرع الملك العلام ﷻ

كذلك يا إخواني.... فإن أهل الفتح، الذين يريدون فتح الله ﷻ، لابد لهم من السير علي المنهاج، الذي كان عليه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وفي ذلك ورد أن أصحاب النبي ﷺ، كانوا صنفين، منهم من يأخذ بقوله، ومنهم من يأخذ بفعله، منهم من كان يسمع ما يقوله، فينفذ، ــ وكان ﷺ يأمر بما فيه اليسر –، ومنهم من كان لا يرضي أن يتابعه في القول ــ لأنه يعلم أن هذا أمر عام لجميع الأنام ــ فقط فكان يقتدي بفعله ــ لأنه يعلم أن فعله عزيمة، وقوله رخصة ــ فيعمل بالعزيمة ليكون من أهل العزائم.

وأنتم تعلمون أمر الثلاثة الذين ذهبوا إلي منزله ﷺ، يسألون عن عبادته الخاصة التي فيها عزائم ليقتدوا بها، ويهتدوا بهديها، فيفتح الله ﷻ عليهم، بما فتح به علي العاملين بها ......والمنهاج يا إخواني، بعض السالكين يظن أنه علي حسب مزاجه الشخصي، وهواه الذاتي ......، وهذا ما يجعله : يقف في موقفه، ولا يتقدم، ولا يتحرك، ولا يُفتَح عليه...!! ولذلك من يريد الفتح، لابد أن يراجع المنهاج علي منهج حبيب، الله ومصطفاه، الخاص، الذاتي، فمثلا:.... العوام ..أمرهم الله ﷻ بخمس فرائض في الصلوات الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، لكن الحبيب كلَّفه الله بفريضة سادسة كما سبق وأوردنا في قيام الليل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ [المزمل]

فالذي يريد أن يتابعه في المنهاج ... وكما سبق وشرحنا ...

هو الذي يفرض علي نفسه قيام الليل، كما قال الله ﷻ.:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [٢٠المزمل]

وهم الذين مع رسول الله، في معية الأنوار الذاتية، والعناية الربانية، والعلوم الوهبية، والأسرار الكثرية.

وهؤلاء كل فرد منهم، يفرض علي نفسه قيام الليل، ولا يتعلل لنفسه بأن الفتح فضل من الله، وقيام الليل فرض علي رسول الله فقط، وهو ليس مطالب بذلك، فإذا تكاسل عن ذلك، فمن أين يأتيه الفتح ..!!؟

إذن الذين يريدون أن يكونوا من أهل المنهاج : إنما يريدون بذلك أن يصلوا إلي الفتوحات الربانية، القلبية، والروحية، والقدسية، وهذه فتوحات كلها : فيها إلهام، وفيها فراسة، وفيها نور، وفيها كشف، وفيها عناية من الله ﷻ .

فلابد لكل رجل من هؤلاء .. أن يراجع نفسه علي هذا المنهاج، وإذا التمس العذر لنفسه : حرم من هذا المقام، لكن الذي يريد هذا المقام : دائما يراجع نفسه، ويلومها، ولذلك عندما تراجع سير الصالحين الكمل، تجدهم جميعا، كانوا يلومون أنفسهم، فمهما وصل الرجل منهم، تجده يلوم نفسه، ويقول لها ....:أنا ما أنفعش في حاجة ....!، أنا ما أعرفش حاجة...!، أنا فقير...!، أنا مسكين...!، لماذا؟

لأنه عارف :....أن هذا هو الباب للفتح ولذلك فالإمام البوصيري ﷺ، بعد أن أكرمه الله غاية الإكرام، وأنشد في مواجهة المصطفي قصيدته البردة المباركة، وسيدنا رسول الله أكمل له بعض أبياقا، إلا أنه قال :

أمرتك الخير، لكن ما ائتمرت به . وما استقمت فما قولي لك استقم

أي أمرتك بالخير، لكن أنا ما زلت لم أكتمل في الجهاد ولا في الصفاء والنقاء، فكان دائما يلوم نفسه، فعلامة الملازم لطريق الفتح أنه يلوم نفسه دائما، ولا يلوم غيره، أما المريد الكسول، فهو الذي ينسب التقصير إلي شيخه! فإذا أبطأ عليه الفتح،

زعم أن الشيخ.لا يحبه!، لكن المريد الملازم، هو الذي يُرجِع القصور والتقصير لنفسه، ودائما يلوم نفسه، لأنه لو أُهِّل فلن يستطيع أحد في الأولين والآخرين أن يحرمه من فضل الله، أو يمنع عنه فتح الله جلَّ في علاه، لأنه تأهل لذلك الفضل، لكنه، لو لم يتأهل .....: من الذي يستطيع أن يسوق له الفتح من الله، وهو غير مؤهل ؟

لا أحد يستطيع أن يفتح ...حتى علي ابنه ــ ولو كان من كُمَّل أهل الفتح ــ فالرجل الصالح، الذي أعطي ابنه أورادا ودخل الخلوة وظل فترة طويلة.يجاهد، وخرج، ولما سأله، ووجده لم يفتح عليه، أعطاه أورادا ثانية وثالثة، وفي النهاية قال له : يا بني!.لو كان الفتح بيديَ، لكنت أول مريد عندي في الطريق، ولكن الفتح بيد الله، يعطيه من يشاء .. أي هذه عناية من الله، وتحتاج منك إلي التأهيل، فالتأهيل عليك، والمنن، والفضل علي الله ﷻ .

فإذا كنت لا تريد أن تجمِّل نفسك : بالصفاء، والنقاء ....والنفس مليئة بشيء من الكبر، أو شيء من الزهو، والغرور، أو شيء من الإعجاب بالنفس، ..فكيف يترل فيها فضل ربك ﷻ؟

لا يجوز، أن يترل فضل الله علي نفس مغرورة، أو نفس مزهوة، أو نفس معتزة بذاتها، أو نفس تري أنها من أهل الكمال، وهي ما زالت في الوبال.....، كيف يأتيها فضل الله ...!!؟

ولذلك لا بد للمريد أن يراجع نفسه : ليري أين يترل، ويقف، كيف يراجع نفسه......؟ يقيس أحواله، وأفعاله، وأخلاقه .... بالصالحين ......وينظر في نفسه إلي ثمرات الفتح، التي أُوتيها الصالحون .....فيقول لنفسه..هل أنا عندي من هذه الثمرات ومن تلك الأحوال فإذا كنت لم أصل إلي مثل هذه الأحوال .. أراجع نفسي، وأراجع المنهج الذي أسير عليه .... وأول ما أراجع بالنسبة للمنهج الرباني ليس الأعمال ....، ولكن التوجهات والنيات !!.ما نيتي في هذا العمل ؟ وما توجهي في هذه العباده؟ ..أريد حسنات، .....أم أطلب فتوحات؟ أم بغيتي وجه الله لا أريد سواه.؟لأنه ﷻ يعطيني علي قدر نيتي، قالﷺ :

{ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمريء ما نوي }[٩٧]

وقال تعالي:

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا – من أين هذا الخير– مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ [٧٠الأنفال].

وهذا بنياتكم.وكذلك لا بد للسالك، أن يتعرف علي أحوال أهل الفتوحات في عصر سيد السادات، ويسير علي منوالهم، و منهاجهم، ولا يسير علي حسب هواه.، فمثلا : سيدنا أبو بكر، وسيدنا عمر رضي الله عنهم وأرضاهم :كان سيدنا رسول الله، يراجعهم فيسألهم : كيف يقرأون القرآن؟

{ فقال أبو بكر : أقرأ في نفسي فقال ﷺ : لماذا؟.فقال : لأسمع من أناجي، فقال ﷺ : وأنت يا عمر! فقال:أرفع صوتي، فقال ﷺ :لماذا؟ فقال : لأوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان، فقال ﷺ : أنت يا أبا بكر ارفع قليلا! وأنت يا عمر اخفض قليلا.!}

ما المقصد هنا ؟ .أنه بذلك يخرج من هواه .إلي مراد رسول الله!!

ولذلك لابد للسالك الصادق ....أن يخرج من هواه، لمراد رسول الله، ليأتيه الفتح من الله، سر قوله ﷺ :

{ والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به}[٩٨]

هذا هو طريق الفتح، فمن كان له هوي، مال عن طريق الفتح، ولا يتم الفتح حتى يكون هواه مطابقا لهوي رسول الله... وكذلك كان مبدأهم [٢٨٥البقرة].:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

---

(٩٧) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٩٨) رواه الترمذى الحكيم والخطيب عن ابن عمرو رضى الله عنهما

لكن عندما يقول الشيخ للمريد – الذي يريد الفتح – افعل كذا، ففيه شفاؤك، فيتكاسل عن العمل ....، حتى يسأله الشيخ : هل فعلت كذا ؟ فيقول : أصل كذا، و أصل كذا، وينتحل الأسباب.....!!!

مثل هذا كيف يأتيه الفتح ؟ فالمريد الذي يريد الفتح له علامة .. إذا خالف ما عنده، ما عند شيخه – بدون كلام – فهو لم يصل إلي درجة المرام ....، لأنه لابد أن يصل إلي حالة يكون ما يحس به داخليا ....: يعرف به ما يريده الشيخ باطنيا .. لأن المريد الصادق ...يفهم إشارة المرشد قبل كلامه..!!

لكن، كونه يأمره الشيخ بما ينفعه : فيتكاسل، ويتباطأ...: فلا يروم الفتح.....، لأن الله تعالي يقول:

﴿ إِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [٥٤النور]، وأيضا: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ [٧الحشر]

فالمريد الصادق هو الذي يمشي علي هذا المنوال، وفي هذا الإتجاه ، كما سبق وقلنا تصحيح الوجهة .. بل إن المريد الذي يريد الفتح، يستكثر من العبادات التي يؤمر بها، حتى يجاوز الحد .... حتى إن سيدنا رسول الله كان يأمرهم بالتخفيف !! مثلما :..... أمر عبد الله بن عمر بصيام يوم وإفطار يوم، بدلا من صيام الدهر كله، وكذلك أمره أن يقوم بعض الليل، وينام بعضه، بدلا من قيام الليل كله ، وأمره أيضا أن يقرأ القرآن، ويختمه كل ثلاث.

فكان رسول الله ﷺ هو الذي يأمر العابدين أو المجاهدين بالتخفيف .

لكن المريد الذي لا يقوم إلا بالشدة ليطيع الخلاق.!!.، فكيف يصير مثل هذا من أهل الوفاق ؟، بل وكيف يترقي في المعارج حتى يصل إلي التلاق؟ ..فلابد أن يكون الدافع للمريد الصادق من داخله، ومن باطنه، حتى لا يلتمس لنفسه الأعذار....، ولا يمشي علي هواه...، ليكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين .

وهكذا المريد الصادق، الذي يريد أن يفتح عليه الله، يمشي علـــي المنـــهاج ..وما المنهاج؟ هو الأخذ بالعزائم التي كان يأخذ بها سيدنا رسول الله نفسه، كمـــا كان الخاصة من أصحابه يفعلون، ويتأدب بالآداب التي كان يتأدب بهـــا أصـــحاب رسول الله مع رسول الله، إذن المنهاج يتكون من شقين:

الأول: أن يأخذ نفسه بالعزائم التي كان يفعلها رسول الله، وليس التي كـــان يأمر بها ﷺ ، والثاني: أن يدرس الآداب التي كان عليها عِلية الأصحاب، ويهـــذب نفسه بها، ويؤدب نفسه بها، حتى يصل إلي المراد، ويكون ممن قال فيهم ﷺ :

{ ما فُضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة و لا صيام و لا كثرة رواية ولا فتوى ولا كلام و لكن بشيء وقر في صدره }[99]

لذلك كان سيدنا أبو بكر:

هو الذي يعرف الإشارات التي يلوّح بها سيدنا رسول الله.

وأصحابه كانوا يتسابقون ليسمعوها منه، فهو ﷺ لم يكن صاحب عبـــارات، ولكنه كان صاحب إشارات، وهو الذي كان يفقه هذه الإشارات، حتى أن ســـيدنا عمر ﷺ كان يتعجب من هذه الأحوال، ولما نزل قول الله عز وجل:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [٣ المائدة]

بكي سيدنا أبو بكر، فسأله أصحاب رسول الله :لم تبكي؟ فقال :لأن هذا نعي رسول الله ﷺ، لأنه مع باطن رسول الله مباشرة.

وكذلك، لما نزل قول الله ﷻ

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ

[99] أخرجه الترمذى

فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝ ﴾ [النصر]

فبكي ثانية فسألوه، فقال:توابا، أي رجاعا، وهذا معناه رجوع رسول الله ﷺ إلي ربه، أي إنتقاله إلى الرفيق الأعلى، فكان دوما يفقه ما في باطن رسول الله ﷺ، قبل أن ينطق به رسول الله، لشدة تعلق قلبه، بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

أما سيدنا عمر فكان يأتي بالخبر من السماء، قبل أن يترل به كتاب الله !!، وكان يترل القرآن بعد ذلك علي رأيه !!، ،كيف يتم له ذلك...؟

روحه علت، فهامت، فإستشرفت هذه الأخبار قبل أن يترل بها جبريل علي النبي المختار ﷺ، فيأتي بها من عالم السر، لأن سره في عالم السر والنجوي يجول دائما.

وهذه الخصوصية ليست لعمر ﷺ فقط:

بل أيضا سعد بن معاذ ﷺ عندما حكم علي اليهود، قال له حضرة النبي ﷺ:

{ لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات }

أي أنت الحاجب للمحكمة الإلهية !!، فأنت نطقت بالحكم، أى أن المحكمة حكمت بالحكم وأنت بَلّغته .....!!

ما هذه الأرواح..!!؟

هذه الأرواح هي التي ملكت الأشباح، وكانت لا تفعل صغيرة، ولا كبيرة، إلا علي هدي من حبيب الله ومصطفاه ﷺ

هذا هو المنهج الذي يسير عليه أهل تزكية النفس لنوال الفتح النورانى:

فهم دائما مع أحوال سيدنا رسول الله، وأفعال سيدنا رسول الله الخاصة، التي ألزم بها نفسه : وقد ألزموا بها أنفسهم.

كما أنهم نظروا إلي أحوال الأصحاب وتعلموا منهم الآداب، لأن أدبا واحدا

يتركه الإنسان، ربما يجعله يخرج من دائرة معية النبي العدنان ﷺ، فإبليس خرج مـــن معية الله بذنب واحد، وكان عن تأويل - عندما قال له ربه- :

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [٧٥ ص].

فما الذي منعه من السجود؟

أنه إعتقد أنه لا يجوز السجود إلا لله، وخطأه أنـــه نـــسي أن الـــذي أمـــره بالسجود، هو الله ﷻ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ :

هفوة العارفين أكبر ذنب ... فابذل النفس تمنحاً رضواني

فليس الإنسان العادي كالإنسان الكبير، و إنما زلة العالِم زلةٌ للعالَم....، أي العَالَـــم الذين وارءه كلهم

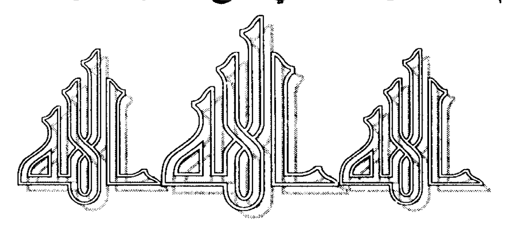
و لذلك فالعالِم دائما يراجع نفسه ليصحح فـــؤاده ، و يجعـــل حبـــل وداده متصـــلا بحبيـــب الله، و مصطفاه، و يخرج بالكلية من حظه و هواه

و لا يسمح لهم بالعودة أبدا إلي يوم أن يلقي الله..

لأن أول شرط للصالحين و المتقين:

ألا يكون لهم هوي إلا لله و رسوله.

أما الذي مازال له هوي في المال، أو هوي في فلان، أو هوى في هذا المنصب، أو هوى في أمر من أمور الدنيا، أو أمور الظهور، أو أمور المشيخة، أو غيره، فهـــذا يحتاج إلي أدب جم كبير، حتى يصير علي منهج البشير النذيرﷺ.



الفصل الرابع

مراقى ومقامات النفس

مقامات النفوس

المقام الأول

مقام النفس الأمَّارة

المقام الثانى

مقام النفس اللوَّامة

المقام الثالث

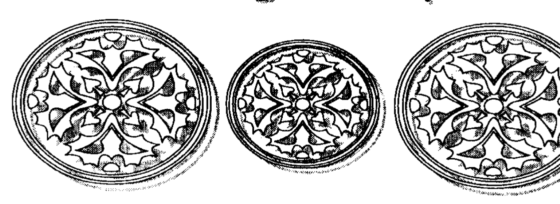
مقام النفس المُلْهَمة

المقام الرابع
مقام النفس المطمئنة

المقام الخامس
مقام النفس الراضية

المقام السادس
مقام النفس المرضية

المقــام السابع
مقام النفس الكاملة



الفصل الرابع

مراقى ومقامات النفس

الحمد لله الذي أنعم على كل مؤمن كريم، بمقام في الإيمان عظيم [١١المجادلة]:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ ﴾

تترقى النفس، أو النفوس التى ذكرناها قبل ذلك .والنفس أو الجوهرة الربانية أو الحقيقة التى تسير هذا الجسد .. تترقى فى مقامات قرآنية.

وقد وصف العارفون مراتب النفس التى تترقى فيها، واستنبطوا ذلك من القرآن الكريم، وجعلوا للنفس فى كل مرتبة أوصافاً وعلاماتٍ، وصفاتٍ وأحوالاً، ومحاسن وقبائح.....، بل إنهم خصوا كل مرتبة بذكر من الأذكار .... فكلما اتصفت بصفات.: سميت لأجل اتصافها.. بها .. بإسم من هذه الأسماء.

فإن صادقت النفس الشهوانية، وصارت تحت حكمها... سُمِّيت..." أمَّارة "، وإليها الإشارة بقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾.[٥٣يوسف].

وإن سكنت ..تحت الأمر التكليفى، وأذعنت لاتباع الحق، لكن .. بقى فيها ميل إلى الشهوات... سُمِّيت.." لوَّامة ".، وهى التى أقسم الله بها عزَّ شأنه فى قوله سبحانه ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [٢القيامة]، فإن زال هذا الميل، وقويت على معارضة النفس الشهوانية، وزاد ميلها إلى عالم القدس، وتلقت الإلهامات سُمِّيت" مُلْهَمَة "، وهى التى ذكرها الله فى قوله تعالى [٧،٨الشمس]:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾.

فإن سكن اضطرابُها، ولم يبق للنفس الشهوانية حكمٌ أصلا، ونسيت الشهوات بالكلية، سُمِّيت.." مطمئنة ".فإن ترقت عن هذا، وسقطت المقامات من عينها، وفنيت عن جميع مراداتها. سُمِّيت." راضية ".فإن زاد هذا الحال عليها .سُمِّيت " مَرْضِيَّة "عند الحق والخلق وقد ذكرت هذه الأوصاف الثلاثة فى قوله سبحانه :

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [٢٨،٢٧الفجر].

فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم، سميت كاملة، وهذا فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [١٢٤البقرة]، وقوله جلَّ شأنه:

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٢يس].

وهذا الجوهر المذكور يسُمَّي أيضا ..بـ" النفس الناطقة " ،.... ويقالُ له .." القلب "، ويقال له " اللطيفة الإنسانية "، ويقال له " حقيقة الإنسان "وهو المـدْرِكُ، العالِمُ، المخاطَبُ بالأوامر الشرعية .

والمراد من سلوك طريق القوم ترقى هذا الأمر الربانى شيئا فشيئا، إلى مقامه الأول ....بالعلاجات والأدوية، التى وصفها سدرة منتهى الكمالات.. وروح أرواح أهل النهايات ﷺ ، والتى منها ..كما اسلفنا الصيام، والقيام، وقلة الكلام، والشفقة على الأنام، والذكر، والفكر، وأكل الحلال، وترك الحرام، وغيره، .....من غير خروج عن دائرة الشرع .. ولا مقدار ذرة لأن كل من تداوى بغير دواء الشرع لا يشفى مرضه، بل يزداد مرضا على مرضه،.ولا يزال السالك يترقى بالأدوية القرآنية، والأشفية المحمدية، درجة بعد درجة، إلى أن يصل إلى ما تنـزَّل منه وهو

الصورة الآدمية التى كانت قبلة الملائكة!!.

فجهاد السالكين والصالحين فى التخلى عن الأوصاف الذميمة، والتحلى بالأوصاف الحميدة، فالأوصاف الذميمة، كالجهل، والغضب، والحقد، والحسد، والبخل، والتعاظم، والكبر، والعجب، والغرور، والرياء، وحب الجاه والرياسة، وكثرة الكلام والمزاح، والتزين للخلق، والتفاخر، والضحك، والتقاطع، والتهاجر، وتتبع العورات، والأمل، والحرص، وسوء الخلق.

والأوصاف الحميدة ، كالحلم، والعلم، وصفاء الباطن، والكرم، والتذلل، والرفق، والتواضع، والصبر، والشكر، والزهد، والتوكل، والمحبة، والشوق، والحياء، والرضا، والاخلاص، والصدق، والمراقبة، والمحاسبة، والتفكر، والشفقة، والرحمة على الخلق، والحب..والبغض فى الله، والتأنى فى الأمور، والبكاء، والحزن، وحب الخمول، وحب العزلة، وسلامة الصدر،\والنصح، وقلة الكلام، والخشوع، والخضوع، والحضور، وانكسار القلب، وحسن الخلق.

مقامات النفوس

المقام الأول : مقام النفس الأمَّارة

إذا كان القلب متوجها إلى الجسد بألوان النعم، وأصناف اللذات الدنيوية، والشهوات النفسانية ..كان محجوبا بظلمات المعاصى، المسمَّاة بالرين، أوالطبع، أوالختم ، ولا يرى شيئا من من أنوار الغيوب، فلا يبالى بما يفعله من الآثام والذنوب....!!!! وأعظم الحجب التى بين العبد وربه ....: حجب الذنوب – لأنها ظلمانية – وغيرها من الحجب ...: وإن كان لا بد للسالك من السعى فى رفعها ،...إلا أنها نورانية ...، لا توجب البعد بالكلية .

ويُسمَّى " القلب " فى هذه المرتبة بـ" النفس الأمارة "، لأنه يتصف بـ: الغضب المذموم، والحقد، والحسد، والكبر، والتعاظم، والعجب، والغرور، ....وغير ذلك من الأوصاف الذميمة المبعدة له عن حضرة ربه،ولا يستغرب هذا الأمر لأن اتباع الشهوات يجعل العزيز ذليلا، روى أن امرأة العزيز، قالت ليوسف الصديق عليه السلام :يا يوسف!. إن الحرص، والشهوة، صيَّرا الملوك عبيدا، وإن الصبر والتقوى صيَّرا العبيد ملوكا، فقال لها :إنه من يتق، ويصبر؛ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

والخلاص من هذا المقام يكون بالذكر القوى، والوقوف على أبواب الشريعة ومحاسبة النفس، وتخويفها بالموت وعذاب القبر وما بعده من أهوال الآخرة.

المقام الثانى: مقام النفس اللوَّامة

والنفس فى هذا المقام :

سيرها لله ، وعالمها : عالم البرزخ، ومحلها : القلب، وحالها : المحبة، وصفاتها : اللوم، والفكر، والعُجْب، والإعتراض على الخلق، والرياء الخفى، وحب الشهرة والرياسة، وقد يبقى معها بعض أوصاف النفس الأمارة، لكنها مع هذه الأوصاف.... ترى الحق حقا، والباطل باطلا، وتعلم أن هذه الصفات مذمومة .

ولها أعمال صالحة من قيام، وصيام، وغير ذلك من أفعال البر.

لكن يدخل عليها العُجْب، والرياء الخفى، فيحب صاحب هذه النفس :

أن يطلع الناس على ما هو عليه من الأعمال الصالحة ـــ مع أنه يخفيها عنهم، ولا يظهرهم عليها، ولا يعمل لهم، بل عمله لله ...

إلا أنه يحب أن يُحْمَد ..ويُثْنَى عليه من جهة أعماله ،.... ويكره هذه الخصلة أيضا، ولا يمكنه قلعها من قلبه بالكلية..!، لأنه لو قلعها بالكلية لكان مخلصا بلا خطر ، والحالُ أن المخلصين على خطر عظيم.

لأن المخلص يحب أن يُعرف أنه مخلص، وهذا هو الرياء الخفى ،.... لأن الرياء الجلى....: هو العمل لأجل الناس، وهو الشرك الخفى المذموم بالكلية.

ولا يكون الخلاص من هذا الخطر، إلا بـــالفناء عن شـــهود الإخـــلاص ...، بشهود أن المحرك والمسكن هو الله تعالى...: شهود ذوق .

وهذا الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين ..... وأهل هـــذا المقـــام لا يحتاجون إلى الإخلاص، بل لا يخطر ببالهم، لأنهم لا يرون لأنفـــسهم عمـــلا حـــتى يخلصون فيه، ولا يرون لغير الله فعلاً حتى يتضررون به.

والمجاهدة فى هذا المقام حقيقتها ترك العادات، وأركانها التى لا بد منها : ستة، وهى تقليل الطعام، وتقليل المنام، وتقليل الكلام، والاعتزال عن الأنام، والذكر على الدوام، والفكر على التمام وكلها قد تناولناها والحمد لله بالشرح فى هذا الكتاب.

والمطلوب من هذه الأشياء الستة: الاعتدال على النهج النبوى، وثمرة هـــذه المجاهدات أن يدخل السالك فى عالم المِـــثال، وهو أول مقامات المقربين، وفيه يـــرى السالك الأمور التى لا تدرك بالحواس الخمس، وقد يكون ذلك منامـــا ، ... وقـــد يكون بين النوم واليقظة.......!

المقام الثالث: مقام النفس الـمُلْهَمة

وهى التى سيرها على الله، بمعنى أن السالك لا يقع نظره فى هذا المقام إلا على الله تعالى، لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه، وفناء ما سوى الله تعالى فى شهوده .

وعالمها عالم الأرواح، .... ومحلها الروح، ....وحالها العشق، ....وواردهـــا المعرفة، ...وصفاتها السخاوة، والقناعة، والعلم، والتواضع، والصبر، والحلم، وتحمل الأذى، والعفو عن الناس، وحملهم على الصلاح، وقبول عـــذرهم، وشـــهود أن الله تعالى آخذٌ بناصية كل دابة.

وإنما سُمِّيت " ملهمة " : لأن الحق تعالى.. ألهمهـا فجورهـا، وتقواهـا ... وصارت تسمع ــ بغير آلة ــ لـمَّة الملك ولَمّة الشيطان.

والواجب على صاحب هذا المقام متابعة الشيخ، واتباع الشريعة، وملازمة الأدب، وأن يُكرِه نفسه على قراءة الأوراد، ويقيدها بقيود الطريقة .

لأن هذا المقام جامع للخير والشر ...: فـإن غلـب خـير الـنفس علـى شرها..ترقت إلى المقامات العلية، وإن غلب شرها على خيرها.. نزلـت إلى أسـفل سافلين . وعلامة غلبة الخير على الشر :

أن يرى السالك باطنه معموراً بالحقيقة الإيمانية ...، وظاهره معمورا بالشريعة الإسلامية ....، وذلك بأن يكون باطنه محققا بأن ما فى الوجود جار على وفـق إرادة الله تعالى....، مقدر بقدرته تعالى...، وأن يكون ظاهره متلبسا بالطاعات...، متجنبا جميع الكبائر والصغائر ....، سواء كان بين الناس .. أو كان فى خلوة ...

وسوق النفس فى هذا المقام يكون بـالعشق، والهيمان، والشوق إلى الوصال، والإجتماع مع الأحبة، وتذكر لقاء المحبوب، والتمتع بجمال وجه المعشوق، وأسباب تأهيل السالك لمنح هذا المقام، " ستة أمور "، بها صارت الأبدال أبدالا، وهى الذكر، والفكر، والجوع، والسهر، والصمت، والعزلة، ..وأعظمها الجوع.

فيا أيها الراغب فى هذا المقام :...لا تترك الرياضة والمجاهـدة، وإن صـعبتا عليك ..، والحظ ــ بعين سرك ــ قول الإمام أبى العزائم ﷺ :

تلك الرياضة يا مسكين غايتها ... ذل ومسكنةٌ، إن صح أنت ولىّ

واعلم أن أسرار الربوبية مودعة فى المسكنة، والعبودية..، فاسـلك طريـق الذل، والانكسار... تكن من العبيد الأحرار، فإنك لا تنال مطلبا من المطالـب.. إلا بالعبودية، وقد يحصل بدونها، ولكنه لا يتم ... قال ابن عطاء الله فى الحكم :

"ادفن وجودك فى أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه."

وقال بعض الصالحين:...:

" طريقنا لا يصلح ..إلا لأقوام كنست نفوسُهم المزابَل ".

فادفن وجودك ...!!، واخف شخصك....!! حتى يصدق عليك قولة :(موتوا قبل أن تموتوا) : وهى حالة من الفناء..تنتاب الصادق فى هذا المقام : تجعله لا يبقى معه ميل إلى مال، أو ولد، أو شئ من الأشياء..... ولا شك أن هذه الحالة هى حالة الأموات . ولما كان " المَيِّت "يكشف له عن البرزخ، فهذا السالك أيضا فى هذه الحالة يكشف له عن عالم المثال والبرزخ.

وعالم المثال، والبرزخ ....: كلاهما شعبتان من عالم الملكوت.

فالواجب عليك أنك إذا لم تكن وصلت إلى هذه الأحوال..:

أن تكون متعشقا لها، طالبا لتحصيلها، لأن كل من طلب شيئا بإخلاص .. وجدِّ فى طلبه ....ناله بقدرة الله تعالى.

المقام الرابع: مقام النفس المطمئنة

والنفس فى هذا المقام، سيرها مع الله، وعالمها الحقيقة المحمدية، ومحلها السر، وهو باطن الروح، وحالها الطمئنينة الصادقة، وواردها بعض أسرار الشريعة، وصفاتها الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا بالقضاء والصبر على البلاء.

ومن علامات دخول السالك فى هذا المقام ، أن لا يفارق الأمر التكليفى شبرا، ولا يلتذ إلا بأخلاق المصطفى ﷺ ...، ولا يطمئن إلا باتباع أقواله....:

لأن هذا مقام التمكين، وعين اليقين، والايمان الكامل.

ولما كان السالك فى هذا المقام يترجم لسانه عما ألقاه الله فى قلبه من حقائق الأشياء، وأسرار الشريعة، فلا يتكلم كلمة إلا وهى مطابقة لقول الله ورسوله، .لزمه

الإجتماع مع الخلق فى بعض الأوقات ليفيض عليهم مما أنعم الله ﷻ به عليه . ويترجم عما فى قلبه من الحكم ، على أن يكون له أيضا مع الله وقت ينقطع فيه لخدمته، والوقوف على بابه. ولا يناسب صاحب هذا المقام مخالطة الخلق فى جميع الأوقات، حتى لا يحرم من الترقى إلى ما بعده من المقامات....

لذلك ترى المحفوظين من الكمَّل؛ إذا أظهر الله على أيديهم شيئا من الكرامات، لا يحسون بها، ولا يعلمون.... أظهرت على أيديهم كرامة؟ أم لا؟...

روى أن رجلا منهم:

مر برجل، فضربه الرجل بحصاة أصابته فى كعبه، فلم يلتفت إلى الضارب، ومشى فسقط الضارب ميتا، فقيل للولى أين أنت من العفو والسماح؟ وهل يجوز لك قتل نفس محرمة؟ فقال والله ليس لى علم بما تقولون، ولا أعرف الرجل، ولكن جرت عادة الله بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون!

فافهم المقصود:

واطلب من الله العون على تمزيق ما بقى عليك من الحجب، فإن الحجب فى هذا المقام .....: حب الكرامات، والميل إليها، وحب الرياسة والشهرة والإرشاد والمشيخة، لأجل اجتماع الناس ..وحصول الإهتداء لهم على يديك... لنيل الثواب.. فإياك والتعرض لشئ من ذلك .... لأنه من دسائس النفس !!!

وأما إن أقامك الله، وأنت فى هذا المقام، وأشهرك، وألبسك ثوب المشيخة — من غير سعى منك، ولا حب، ولا تطلُّب — فقم بأمر الله ....فإنه خير لك من العزلة، فإذا اطمأنت نفسك ..طمأنينة رحمانية، ولم تزل قدمك عن اتباع الكتاب والسنة — حتى ولو قدر أنملة — بل امتزج دمك ولحمك بإتباع الشرع :

جذبتك يد الألطاف .. جذبة الكمال، فلا تدرك شيئا من أمور الدنيا والآخرة، إلا إذا كان حاضرا عندك....، ومتى غاب عنك غبت عنه......، وذلك لأن قلبك :.....لا يفتر عن مشاهدة جمال الحق وجلاله.

المقام الخامس: مقام النفس الراضية

وهذه النفس :

سيرها فى الله تعالى، وعالمها اللاهوت، ومحلها سر السر وهو مالا اطلاع عليه لغير الحق سبحانه، وحالها الفناء، والفناء هنا عبارة عن محو الصفات البشرية ..، فالذى يفنى من العبد صفاته لا ذاته، فلا تفنى ذاته فى ذات الحق جلَّ وعلا؛ كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله .

بل إن العبد كلما تقرب إلى الله بالعبودية، وتخلى عن الصفات الذميمة المناقضة للعبودية؛ وهبه الله فضلا منه ..: صفات حميدة عوضا عما تخلى عنه من الصفات الذميمة،... والله هو القادر والعبد هو العاجز.

والنفس فى هذا المقام وهى" الراضية " :

ليس لها وارد ـــ لأن الوارد لا يكون إلا مع بقاء الصفات، وقد زالت فى هذا المقام حتى لم يبقى لها اثر— ولذلك كان السالك فى هذا المقام.فانياً.

وصفات هذه النفس الزهد فيما سوى الله تعالى، والإخلاص، والورع، والرضا بكل ما يقع فى الوجود من غير اعتراض نفس .. ولا انكار قلب..: وذلك لأنه مستغرق فى شهود الجمال المطلق.. ولا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنصح للخلق، ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع به، كل ذلك وقلبه مشغول ..بعالم اللاهوت ..... وسرِّ السِّر.

وصاحب هذا المقام، غريق فى بحر الأدب مع الله تعالى، ودعوته لا ترد، إلا أنه لا ينطق لسانه بالسؤال حياءا وأدبا، إلا إذا اضطر فإنه يطلب، ويدعو فلا ترد دعوته، وهو عزيز عند الخلق، محترمٌ عند الأكابر والاصاغر، لأنه قد نودى من حضرة القرب .." إنك اليوم لدينا مكين أمين "، فصار تعظيم الخلق له قهرياً !، ولذلك لا يركن إليهم.

المقام السادس: مقام النفس المَرْضِيَّة

وهذه النفس :

سيرها عن الله تعالى، وعالمها عالم الشهادة، .ومحلها الخفاء،. وحالها الحيرة، وواردها التنزيه، وصفاتها حسن الخلق، وترك ما سوى الله تعالى، واللطف بالخلق، وحملهم على الصلاح، والصفح عن ذنوبهم، وحبهم، والميل إليهم؛ لإخراجهم من ظلمات طبائعهم النفسانية إلى أرواحهم النورانية .

ومن صفات هذه النفس الجمع بين الخلق والخالق، وهذا شئ عجيب، لا يتيسَّر إلا لأصحاب هذا المقام، ولذلك كان السالك فى هذا المقام لا يتميز عن عوام الخلق بحسب ظاهره، ولكن بحسب باطنه فهو معدن الأسرار وقدوة الأخيار.

وسميت هذه النفس بالمرضية لأن الحق قد رضى عنها.

ومعنى سيرها عن الله تعالى انها أخذت ما تحتاج إليه من حضرة الله تعالى، وحالها الحيرة المقبولة، وهى المشار إليها بالقول الوارد فى الأثر المشهور: ربِّ زدنى فيك تحيرا، وبقول الشبلى ﷺ: يا دليلَ المتحيّرين زدني تحيُّراً.

ومن صفات السالك فى هذا المقام الوفاء بما وعد، ووضع كل شئ فى موضعه، ومن أوصافه كذلك أنه فى كامل شئونه فى الحالة الوسطى بين الإفراط والتفريط، وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا الكاملون .....

والسالك فى هذا المقام تلوح عليه فى بدايته بشائر الخلافة الكبرى، وفى آخره تخلع عليه خلعتها وهى خلعة كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها؛ فبالحق يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشى، وهذه نتيجة قرب النوافل؛ وهو أن يكون التأثير للعبد باستعانته بالحق سبحانه وتعالى.

وتحقيق ذلك أن السالك إذا وصل إلى مقام الفناء ..:

تنمحق صفاته الذميمة البشرية –التى هى محل الانفعال والشقاوة– وذلك بسبب تقربه إلى الله تعالى بالنوافل التى هى الرياضات والمجاهدات للنفس، الجهاد الأكبر ... فيهب له مولاه كرماً منه صفات مناقضة لتلك الصفات، ... منتجة بإذن واهبها ...... وهذا هو حق اليقين.

المقام السابع : مقام النفس الكاملة

وهذه النفس سيرها بالله، وعالمها كثرة فى وحدة، ووحدة فى كثرة.

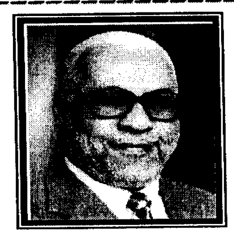
ومحلها الأخفى، وحالها البقاء، وواردها جميع ما ذكر من واردات النفوس، وصفاتها جميع ما ذكر من الصفات المحمودة للنفوس المتقدمة.

وصاحب هذا المقام، ليس له مطلب سوى رضوان مولاه، فحركاته حسنات، وأنفاسه عبادة، إن رآه الناس ذكروا الله، وكيف لا وهو ولىُّ الله الكامل!!..

لا يفتر عن العبادة؛ إما بجميع بدنه، أو بلسانه، أو بقلبه، وهو كثير الإستغفار والتواضع، سروره ورضاه فى توجه الخلق إلى الله، وحزنه وغضبه فى إدبارهم عنه، يحب طالب الحق أكثر من محبة ولده الذى لصلبه، ليس فى قلبه كراهة لمخلوق من المخلوقات، ولا تأخذه فى الله لومة لائم، مراده مراد الحق، يجيبه مولاه فى كل ما طلب لوقته وساعته، اللهم إنا نسألك حسن الأدب مع حضرتك، والتمسك بكتابك المقدس، والتأسى بنبيك الكريم، والحفظ من أهواء النفس، ووساوس الشيطان، والإقبال الدائم عليك فى كل وقت وآن،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمَّ بحمد الله وبركة توفيقه، فله سبحانه الشكر والمنة من قبل ومن بعد.



نبذة عن المؤلف الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

- تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – الغربية
- المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .
- العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.
- النشاط : ١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ،ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول فى جميع أرجاء الجمهورية، وفى الأقطار العربية والإسلامية وغيرها؛ لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام .

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس على الشرائط و الأقراص المدمجة.، ٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت:

WWW.Fawzyabuzeid.com

دعــوته :

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية. وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه وسلم



قائمة مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى ٢- الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة.
٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى

ثانيا : الدين والحياة :

٥- زاد الحاج و المعتمر (٢ط) ٦،٧- نفحات من نور القرآن ج١، ج ٢، ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم، ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب، ١٠- فتاوى جامعة للشباب، ١١- مفاتح الفرج (٦ط) (ترجم للأندونسية)، ١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان، (ترجم للإنجليزية والأندونسية)، ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام ١٤- كيف يحبُك الله (تحت الترجمة للأندونيسية)، ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة للأندونيسية)، ١٦- المؤمنات القانتات، ١٧- فتاوى جامعة للنساء، ١٨- قضايا الشباب المعاصر

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات

١٩- ج١: المولد النبوى، ٢٠- ج٢: الإسراء و المعراج، ٢١- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٢-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر، ٢٣- ج٥ : الحج و عيد الأضحى، ٢٤- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٥- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣طبعات). ٢٦- الرحمة المهداة. ٢٧- إشراقات الإسراء-ج١(٢ط)، ٢٨- إشراقات الإسراء (ج٢)، ٢٩- الكمالات المحمدية ٣٠- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ (ترجم للإنجليزية وجارى نشره بالموقع بعد تطويره وتحديثه).

رابعا : الطريق إلى الله :

٣١- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونسية)،

٣٢- أذكار الأبرار، ٣٣- المجاهدة للصفاء و المشاهدة، ٣٤- علامات التوفيق لأهل التحقيق، ٣٥- رسالة الصالحين، ٣٦- مراقى الصالحين، ٣٧- طريق المحبوبين و أذواقهم، ٣٨- كيف تكون داعياً على بصيرة.

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٣٩- الصوفية و الحياة المعاصرة، ٤٠- الصفاء والأصفياء، ٤١- أبواب القرب و منازل التقريب ٤٢- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية) ٤٣- المنهج الصوفى والحياة العصرية ٤٤- الولاية والأولياء ٤٥- موازين الصادقين، ٤٦- الفتح العرفانى، ٤٧- النفس وصفها وتزكيتها.

سادساً: سلسلة ما قلّ و دلّ

٤٨- مختصر مفاتح الفرج (٢ط)، ٤٩- أذكار الأبرار (٢ط)، ٥٠- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).

سابعاً: سلسلة شفاء الصدور

٥١- علاج الرزاق لعلل الأرزاق ٥٢- بشائر المؤمن عند الموت، ٥٣- العبد الصالح وموسى عليه السلام.

ثامناً: تحت الطبع للمؤلف :

السلسة		إسم الكتاب
١- من أعلام الصوفية	:	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى
٢-		الإمام أبوالعزائم المجدد الصوفى (ط٢)
٣- دراسات صوفية معاصرة	:	حقائق التصوف النقيّ
٤-	:	سياحة العارفين
٥- الحقيقة المحمدية	:	الصلوات الإلهاميّة
٦- الطريق إلى الله	:	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢)
٧-	:	الحكم الإلهاميّة
٨- الدين والحياة	:	الخطب الإلهامية: المجلدالأول: المناسبات (ط٢،إقتصادية)

للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد، الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام، ميدان الحسين،
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان، عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ طلعت حرب أمام سينما مترو
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفر، الدراسة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة بجوار المسجد
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر، أمام الباب العباسي
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد- الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمد أمين، مصر الجديدة
مكتبة عبادة	٠٥٥٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق — ش نور الدين
		الإسكندرية
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
معرض الكتاب السكندرى	٠١٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر

مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
		الأقـــــــاليم
كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	---------	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق — شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا، ٩ ش سعيد مع شارع المعتصم - أمام كلية التجارة
مكتبة الإيمان	---------	فايد- الحاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة	---------	السويس- شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	-٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- ش احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	قنا - أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
دار الأحمدي للنشر	-٠٦٨- ٢٣٤٧٨٠٢	المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.

ويمكن الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على الإنترنت

www.askzad.com

كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع.

========== تمَّ بحمد الله وتوفيقه ==========